الجُمْلَةُ البَيانيَّةُ في القُرْآنِ الكَريمِ
دراسةً في التَّراكيبِ والدّلالةِ

إِعْدادُ:

د/ خالد إسماعيل حسّان

أستاذ مُشارك في النَّحْوِ والصَّرْفِ

جامعة طيبةَ بالمَدينةِ المنُوَّرَة – فرع العُلا، كلية العلوم والآداب – قِسْم اللُّغة العربيَّة

مُقَدِّمَة

مِنْ أَبْرَزِ سِماتِ اللغةِ العربيّةِ البَيانُ، وقد نزلَ جبريل عليه السَّلام بالقرآنِ الكريمِ على قَلْبِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، بلسانٍ عربيٍّ فصيحٍ، بَيِّنًا واضحًا، قاطعًا للعُذر، مُقيمًا للبرهان، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[1].

وإنَّ فَهْمَ القرآنِ الكريمِ فَهْمًا صحيحًا يحتاجُ إلى الاستعانة بعلوم اللُّغة العربيَّة، كالأصوات، والصَّرْف، والنحو "التراكيب"، والمعاجم، والدّلالة. . . . وغير ذلك، ومِنْ هنا نلحظ أنَّ دراسة الجملة العربيَّة بصفة عامة، والجملة البَيانِيَّة في القرآن الكريم بصفة خاصة، يُعين على تحديد الدّلالة المقصودة، مِن خلال وصف البنية اللُّغويَّة للجملة، وتحليلها، وتفسيرها بكشف العلاقات المُترابطة بين أجزائها، وبَيان بعضِ أسرارِها التركيبيَّةِ والدّلاليَّةِ، وذلك بتأمُّلِها، للوصولِ إلى جادَّةِ الصَّواب ما أمكن.

وإنَّ دراسة الجملة البيانيَّة "التفسيريَّة" في القرآن الكريم، لم تلق عناية مِن الدارسينَ في العصر الحديث– على حَدّ علمي– وأمّا العلماء العرب القدماء الذين عُنوا بدراستها في كُتُب النَّحْو كابن هشام الأنصاريّ ت ٧٦١هـ والشيخ خالد الأزهريّ ت ٩٠٥هـ، وكُتُب معاني النحو وإعرابه كالتبيان في إعراب القرآن للعكبريّ ت ٦١٦هـ، وكُتُب تفسير القرآن الكريم كالكشاف للزَّمخشريّ ت ٥٣٨هـ، فتكاد تنحصر جهودهم في

(١) سورة الشعراء ١٩٣/٢٦-١٩٤-١٩٥.

تعيين الجملة المفَسَّرَة والمُفَسِّرَة، والاستغناء عن العاطف لقوَّة الترابط بين الجملتين، وهذا أراه غيرَ كافٍ في رصد الجملة البيانيَّة في القرآن الكريم وتشخيصها.

ولاشَكَّ في أنَّ دراسةَ موضوعِ (الجملة البَيانيَّة في القرآن الكريم، دراسةً تركيبيَّةً ودلاليَّةً) لجديرٌ برصدِهِ وتأمُّلِهِ ووصفه وتحليله للبحث عن تفسير علميّ مُنضبط، وَفْق منهجٍ علميٍّ واضحٍ، أملاً في تحقيق بعض الأغراض العلميَّة مِنْ وراء دراسته، ومِنْ هذه الأغراضِ مَعرفةُ بعضِ خصائص بنية الجملة البيانيَّة في القرآن الكريم، واستجلاء بعض صورها ووسائلها، وأغراضها. وأيضًا الاستفادة مِنْ نتائج هذا البحث في تحليل نصوص اللغة العربيَّة، وتفسيرها، فيكون البحثُ هذا كاشفًا لبعضِ السِّماتِ المائزة للجملةِ العربيَّة مِن حيث التراكيب والدّلالة.

كما تَحرصُ هذه الدراسةُ على إبرازِ بعضِ الجهودِ العلميَّةِ القيّمةِ والمُفيدةِ التي قدَّمَها علماؤنا العربُ القدماءُ في مُصَنَّفات النَّحْو العربيّ وتفسير القرآن الكريم ومعاني القرآن وإعرابه، ومناقشة آرائِهم مع طرح بعض الآراء التي أرتضيها مِنْ خلال الأمثلة القرآنيَّة المذكورة موضع التمثيل والاستدلال.

ومِمّا تُعْنَى به هذه الدراسةُ الانطلاقَ مِنَ النصِّ القرآنيِّ في دراسة نظام بنية الجملة البَيانيَّة ودلالتها، فتجمع الدراسةُ هذه بين النظريَّة والتطبيق، فيكون النَّصُّ القرآنيّ حاكمًا على القاعدة اللغويَّة والنَّحويَّة، مع الإفادة مِنْ آراء العلماء العرب القدماء، وكذلك بعض النظريات والآراء

الحديثة، كنظريَّة السِّياق، ونظريَّة القرائن النحويَّة للدكتور تمّام حسّان، ونظريَّة الرَّبْط أو السَّبْك عند البلاغيين وغير ذلك مِمّا يتقاطع مع موضوع البحث، كما تهتمُّ الدّراسةُ بالرَّبْط بين مستوياتِ التحليلِ اللغويّ ما أمكن ذلك.

وأمّا قصدي بالجملة البيانيَّة هنا فهو دراسةُ جُملتينِ مُتتابعتينِ مِنْ دون العاطفِ الملفوظ بينهما، الأُولى– تُسَمَّى الجملةَ "المُفَسَّرَة" أو المُرَكَّب الأوَّل، سواء كانت جملةً كاملةً أم كلمةً داخلَ جملةٍ، وتُوصَفُ هذه الجملةُ المُفَسَّرَةُ دلاليًّا بالإبهام أو الإجمال أو التعميم، لتهيئة المُخاطَب، وشَحْذ الذِّهن... ففيها تَعَلُّقٌ معنويٌّ مِن حيثُ المَعنى بما بعدها، وأمّا تركيبيًّا فهي جملة مُكتملة الإسناد، ويجوز الوَقْفُ عليها، وأراها تُكَوِّنُ جُزْءًا مُهمًّا في معنى الكلام المُراد. والثانية– تُسَمَّى الجملةَ "المُفَسِّرَة أو التفسيريَّة" أو المُرَكَّب الثاني، وأحيانًا أُسمّيها في هذا البحث الجملة البيانيَّة مِن باب التغليب، وَتَتَّسِمُ دلاليًّا بالبَيانِ والإيضاح والتفصيل والتخصيص والتشبيت والتمكين. . . . وأمّا تركيبيًّا فهي مُكتملة الإسناد والإفادة، فيَحْسُنُ السُّكوتُ عليها، فلا تحتاج إلى ما بعدها، لكنَّها مُتَّصِلةٌ بما قبلها دلاليًّا، وأحيانًا تركيبيًّا.

وعِلَّةُ إطلاقي مُصطلح (الجملة البيانيَّة) على مجموع الجملتينِ المُفَسَّرة والمُفَسِّرَة، وجودُ ارتباطٍ مَعنويّ دلاليّ بينهما دائمًا، وأحيانًا يكون الارتباط أيضًا لفظيًّا تركيبيًّا، فصارت الجملتانِ كالجملة الواحدة المُركَّبة المُمتدَّة، ويمكنُ أنْ نعدَّ ذلك ـ مِن وجهة نظري ـ تشبيهًا لها بجملة

أسلوب الشَّرط المُكَوَّنة مِنْ أداة الشَّرط وجملة الشَّرط وجملة جواب الشَّرط، ومِن الجدير بالذّكر أنّني أحرص على بيان هذا المُصطلح كلما وردَ في البحث، حذرَ اللَّبْسِ عند القارئ، كما سنرى ذلك في قابل بإذن الله تعالى.

ويحاولُ هذا البحثُ دراسةَ العلاقات الواشجة بينَ الجُملتينِ المُفَسَّرَةِ والمُفَسِّرَةِ أو المُرَكَّبَيْنِ مِنْ خلالِ ما يأتي:

١– أنماط أو صور الجملة البَيانيَّة؛ الجملة السَّابقة "المـُفَسَّرَة" والجملة اللاحقة "المُفَسِّرَة".

٢– أسباب استعمال هذا النوع مِنَ الجملة في الكلام.

٣– وسائل الرَّبْط " السَّبْك" في الجملة البيانيَّة، الرَّبْط اللفظيّ المذكور، والرَّبْط المُقَدَّر المحذوف، والرَّبط الدّاخليّ المعنويّ.

٤– خصائص بنية الجملة البَيانيَّة تركيبيًّا ودلاليًّا.

٥– الأغراض الدّلاليَّة للجملة البَيانيَّة في القرآن الكريم.

٦– العلاقة بين المعنى والتَّصَوُّر في الجملة البيانيَّة.

٧– معرفة مَظاهر التغيُّر الدّلاليّ للجملة البَيانيَّة مِنْ خلالِ السِّياقِ المقاليّ والمقاميّ مع الاستفادة من دور المعنى المعجميّ في كشف التغيُّرات التركيبيّة والدّلاليَّة.

٨– الكشف عن دورِ مَفهومِ الاستدعاءِ وأثره في البنية التركيبيَّة للجملة المُفَسِّرَة ودلالتها.

٩– بَيان دور الوَقْف على الجملة المُفَسَّرَة في تَحَوُّلِ تركيب الجملة، ثمَّ

تغيُّر الدّلالة.

١٠- الكشف عن أهميَّة الإبهام والإجمال والتعميم في تبليغ المعنى المُراد.

١١- دور الحَمْل على المعنى في تركيب الجملة البيانيَّة ودلالاتها.

١٢- وظيفة الجملة المُفَسِّرَة في أصل التركيب النحويّ، ومِن ثَمَّ تقدير المحذوف في الجملة المُفَسَّرَة.

١٣- الوظيفة الصوتيَّة والدّلاليَّة للنَّبْر والتنغيم في بعض مواضع الجملة البيانيَّة.

١٤- وظيفة الصِّيَغ الصَّرْفيَّة في وصف بنية الجملة البيانيَّة وتحليلها وتفسيرها.

وأعتمدُ في هذه الدراسةِ على منهجٍ يقومُ على وصف الجملة البيانيَّة في القرآن الكريم، وتحليلها، ومحاولة تفسيرها، لاستنباط بعض القواعد التي تحكمها، وذلك بمناقشة الآراء العلميَّة التي سَبَقَنا بها علماؤنا العربُ القدماء، وكذلك العلماء المعاصرون، ومحاولة طرح بعض الآراء التي أميل إليها في كلِّ مثال مَذكور، والعناية بالفرضياتِ المطروحةِ داخلَ البحثِ، ما أمكنَ ذلك.

وينحصرُ هذا البحثُ في مُقَدِّمَة ومِهاد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس الآيات القرآنيَّة وقائمة بالمصادر والمراجع، وهي ما يأتي:

مُقَدِّمَة- وفيها أهميةُ الموضوعِ، وجدارته بالدراسة، وأغراضه، وسبب اختياره، والدراسات السابقة عليه، ومنهجه العلميّ، ومباحثه.

مِهاد– وفيه تعريفٌ بمصطلح "الجملة العربيَّة" و"الجملة البَيانيَّة" قديمًا وحديثًا.

المبحث الأول– الجملة البَيانيَّة المُفَسِّرَة المقرونة بـ "أنْ" التفسيريَّة.

المبحث الثاني– الجملة البَيانيَّة "المُفَسِّرَة" للمُفرد "الكلمة" قبلها.

المبحث الثالث– الجملة البَيانيَّة "المُفَسِّرَة" لجملة قبلها.

الخاتمة– وفيها أبرز نتائج البحث.

فهرس الآيات القرآنيَّة الواردة في البحث.

المصادر والمراجع

واللهُ وليُّ التوفيقِ والهِدايةِ والسَّدادِ إلى أقْوَمِ طريقٍ بمَنِّه وكَرَمِهِ.

مِهاد

نظرًا لأنَّني ارتضيتُ لهذا البحثِ عنوان "الجملة البيانيَّة في القرآن الكريم، دراسةً في التراكيب والدّلالة"، فأصبحَ مِن المُهِمِّ والمُفيد أنْ أعرضَ مِهادًا مُختصرًا مُوجَزًا، أُعرِّفُ فيه بمصطلح (الجملة العربيَّة) قديمًا وحديثًا، ثُمَّ مُصطلح (الجملة البَيانيَّة)، ثمَّ موقف علماء النَّحْو العربيّ مِنَ المحلِّ الإعرابيِّ للجملة البَيانيَّة (التفسيريَّة)، وذلك لتأصيل موضوع البحث عند بعض العلماء قديمًا وحديثًا، ولضبط المفاهيم الواردة فيه، وأمن اللَّبس لدى القارئ، والتماس المنهجيَّة العلميَّة المُنضبطة بتحرير المُصطلحات العلميَّة مِن مظانها.

استخدمَ علماءُ النَّحْو العرب القدماء مصطلح الكلام مرادفًا لمصطلح الجملة، على حين يرى فريقٌ آخرُ فرقًا بين الكلام والجملة، وكان أوَّلُ مَنْ استعملَ مصطلح "الجملة" بالمفهوم النحويّ هو المبُرِّد ت٢٨٥هـ في كتابه "المُقتضب"[(١)]. وأمّا تعريف مصطلح "الكلام" فذكر ابن جنّي ت ٣٩٢هـ أنَّه "كلّ لفظ مُستقلّ بنفسه مُفيد لمعناه، وهو الذي يُسَمِّيه النحاة الجُمَل"[(٢)]. فقد ركَّزَ ابن جنّي على فكرة اكتمال التركيب الإسناديّ واستقلاله، والإفادة في المعنى ليحصل التعبير عن الغرض في أثناء التواصل

(١) المُبرّد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عُضَيمة، القاهرة، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة، ١٩٩٤م، ص١/٨، ١٠.

(٢) ابن جنّي، الخصائص، تحقيق محمد عليّ النجّار، الطبعة الثانية، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، ١٩٥٢م، ص١/١٧.

بين المُتكلِّمين.

وأمّا الزمخشريّ ت ٥٣٨هـ فبعد أنْ فَرَغَ مِنْ كتابة مُقَدِّمة كتابه "المُفَصَّل في صَنْعَة الإعراب" ذكر فصلًا بعنوان "في معنى الكلمة والكلام"، عَرَّفَ فيه مصطلح "الكلمة" ومصطلح "الكلام"، فقال: "والكلام هو المُرَكَّب مِنْ كلمتينِ أُسْنِدَتْ إحداهما إلى الأُخرى، وذاك لا يَتَأَتَّى إلاّ في اسمينِ كقولك: زيدٌ أخوك، وبِشْرٌ صاحِبُك، أو في فعلٍ واسمٍ نحو قولك: ضَرَبَ زيدٌ، وانطلقَ بَكْرٌ. وتُسَمَّى الجملة. ."[1] ومِنْ ثَمَّ يُسَوِّي الزمخشريُّ بين مصطلح الكلام والجملة، كما أنَّه اكتفى بالحديث عن مكوِّنات الإسناد "المُسند إليه والمُسند" مِن خلال الجملة الاسميَّة والجملة الفعليَّة.

بينما يرى الرَّضي الأستراباذي ت٦٨٤هـ فرقًا بين مصطلح الكلام والجملة، فيرى "أنَّ الجملة ما تَضَمَّنت الإسناد الأصليّ، سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ، وسائر ما ذُكر مِن الجُمل... والكلام ما تَضَمَّنَ الإسناد الأصليّ، وكان مقصودًا لذاته، فكلُّ

(١) الزمخشريّ، المُفَصَّل في صَنْعَة الإعراب، تحقيق خالد إسماعيل حسّان، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٤م، ص٤٩، وانظر: ابن يعيش، شرح المفَصَّل، القاهرة، مكتبة المتنبي، بدون تاريخ، ص ١٨/١، وابن الحاجب النَّحْويّ، الإيضاح في شرح المفَصَّل، تحقيق موسى بناي العليلي، بغداد، وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالجمهورية العراقية، ١٩٨٢م، ص ١٦/١، والخوارزمي، شرح المفَصَّل المؤسوم بالتخمير، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م، ص ١٥٧/١.

كلام جملة ولا ينعكس"[١]. ومِنْ هنا يُعْنى الرَّضيّ الأستراباذي بفكرة القَصْد في الإسناد التركيبيّ للتفرقة بين الجملة والكلام، فشرط الكلام عنده أنْ يتحقَّقَ فيه التركيبُ الإسناديُّ والقَصْدُ، أي التعبير عن غرض المُتكلِّم، على حين الجملة اقتصر فيها على وجود التركيب الإسناديّ، وأمّا القَصْدُ في الإسناد التركيبيّ فلا يشترط الرَّضيّ الأستراباذيّ تحقُّقَهُ في الجملة، فقد يكونُ موجودًا وقد لا يكونُ، كما أنَّ الكلامَ قد تكونُ الجملةُ جزءًا منه وليسَ العكس، فالكلامُ أعمُّ مِن الجملة.

وأمّا ابنُ هِشام ت٧٦١هـ فصنعَ بابًا بعنوان "الجملة وأقسامها وأحكامها" في كتابه "مُغني اللبيب عن كُتب الأعاريب" فذهب إلى أنَّ "الكلامَ: هو القولُ المُفيدُ بالقَصْد... والجملة: عبارة عن الفعل وفاعله كـ "قامَ زيدٌ"، والمبتدأ وخبره، كـ "زيدٌ قائمٌ... وبهذا يظهرُ لك أنَّهما ليسا مُترادفينِ، كما يتوهمه كثيرٌ مِن الناسِ... والصَّواب أنَّها أعمُّ منه"، إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشَّرط، جملة الجَواب، جملة الصِّلة، وكلُّ ذلك ليسَ مُفيدًا، فليسَ كلامًا"[٢]. ومِن هنا نلحظ أنَّ مفهوم الكلام عند ابن هشام أكبر مِن الجملة، وشرطُ الكلامِ الإسنادُ والإفادةُ.

وأمّا الكفويّ ت ١٠٩٤هـ في كتابه "الكُليات" فقال: "والكلام:

(١) الرضي الأستراباذي، شرح الكافية، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٣١٠هـ، ص١/٨.

(٢) ابن هشام، مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق عبد اللطيف الخطيب، الطبعة الأولى، الكويت، ٢٠٠٠م، ص٥/٧، ٨.

الجملة المُفيدة"[1]. فقد سَوَّى بين الكلام والجملة، وذكر شرط الإفادة فقط.

وأمّا تقسيم الجملة إلى صُغرى وكُبرى، وبسيطة وممتدة ومزدوجة ومتداخلة ومتشابكة فتلك نظرة تركيبيَّة تفصيليَّة، وخالصةُ القولِ فيها أنَّها مأخوذةٌ مِن فكرة الإسناد "المُسند إليه والمُسند" المعروفة عند سيبويه ت ١٨٠هـ "وهما ما لا يُغني واحدً منهما عن الآخر، ولا يجد المتُكلِّم منه بُدًا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: هذا عبد الله، وهذا أخوك"[2].

وتأسيسًا على ما سَلَفَ ذكره فإنَّ مفهوم علمائنا العرب القدماء عن الكلام والجملة يدور في فلك الإسناد والإفادة، لتحقيق القصد والمُراد مِن المنطوق به في أثناء التواصل بين الناس، ويسير مفهومهم هذا في اتّجاهينِ اثنينِ: أحدهما ـ يرى ترادفًا بين الكلام والجملة في الاستعمال، والآخر ـ يُفَرِّقُ بين الكلام والجملة، فيرى الكلام أعمَّ مِن الجملة.

وفي العصر الحديث تناول غيرُ قليلٍ مِن العلماء العرب مصطلح "الجملة" بالدراسة المستفيضة، فعلى سبيل المثال لا الحصر مُصَنَّفات

(١) الكفويّ، الكليات، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م، ص٧٥٧.

(٢) سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٢م، ص١/٢٣.

الدكتور مهدي المخزومي[١]، والدكتور محمد حماسة عبد اللطيف[٢]، والدكتور محمد إبراهيم عبادة[٣]، وغيرهم مِمَّن يمكن الاتّساع لمَنْ أرادَ في عرض قضية الجملة العربيَّة قديمًا وحديثًا، كدراسة وصفيَّة تاريخيَّة تحليليَّة، وفقًا للغاية المنشودة لكلّ بحثٍ علميّ.

فذهبَ الدكتور محمد حماسة إلى شيوع مصطلح الجملة حديثًا، وذلك بتأثير علم اللغة الحديث في الدراسات النَّحْويَّة، فقد فرَّقَ علماء اللغة منذ دي سوسير بين مصطلحي اللغة والكلام، فابتعد دارسو النحو العربيّ عن مصطلح الكلام، لاختلاف المفهوم، وأمنًا للَّبس والغموض، "إذ إنَّ اللغة نظام، والكلام أداء نشاطيّ طبقًا لصورة صوتيَّة ذهنيَّة، والكلام هو التطبيق الصوتيّ، والمجهود العُضويّ الحركيّ الذي تنتج عنه أصوات لغويَّة مُعينة، والجملة هي وحدة الكلام الصُّغرى"[٤].

ويُعَرِّفُ إدوارد سابير مُصطلحَ الكلام بأنَّه "وظيفةٌ إنسانيَّةٌ غيرُ

---

(١) مهدي المخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، بيروت، ١٩٦٤م، ص٣٤-٣٥-٣٦-٣٧-٣٨.

(٢) محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٣م، من ص٢١ إلى ص٨٣.

(٣) محمد إبراهيم عبادة، الجملة العربية، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٢م، ص١٣٠-١٥٠.

(٤) محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص٣١، وانظر: تمّام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة الثالثة، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨م، ص٣٣-٤٣

غريزيَّةٍ، إنَّه وظيفةٌ مُكتسبةٌ، إنَّه وظيفةٌ ثقافيَّةٌ"[1]، ومِن خلال تعريف سابير للكلام يظهر لنا أنَّ مفهوم الكلام عنده، نشاط إنسانيّ مُكتسب ناتج عن استعمال المُجتمع للغة في حياته؛ للتواصل الإنسانيّ، ولتوصيل الفكر والتعبير عنه... وأمّا مُصطلح اللغة ـ حديثًا ـ فهو "مجموعة مِن العلاقات أو الرموز، هي الأصواتُ التي يُحدثها جَهازُ النُّطقِ الإنسانيّ، والتي تُدركها الأُذُنُ، هذه الأصواتُ التي تُؤلَّفُ بطرائقَ اصطلاحيَّةٍ في كلماتٍ ذات دلالات اصطلاحيَّة"[2].

وبناءً على ما سلَفَ ذكره نجد أنَّ مفهوم مصطلح الكلام ـ حديثًا ـ يختلف عنه عند علماء النَّحو العربيّ قديمًا. لذا ابتعد علماء النحو العربيّ ـ حديثًا ـ عن استعمال مصطلح الكلام مُرادفًا لمصطلح الجملة، فاقتصروا على مصطلح الجملة.

وأمّا مصطلح "الجملة البَيانيَّة" أو "الجملة التفسيريَّة" كوصفٍ للجملة موضع البحث والدراسة، فنبدأ بتعريف مصطلح البَيان، فهو "إظهارُ المتُكلِّمِ المـُرادَ للسَّامع"[3]. قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾[4] أي: إيضاح لهم،

(١) محمود السَّعران، علم اللغة مُقدِّمة للقارئ العربيّ، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الفكر العربيّ، ١٩٩٠م، ص ٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٧.

(٣) عليّ بن محمد الجرجانيّ، كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، ٢٠٠٠م، ص٦٧، والكفويّ، الكليات، ص١٥٠.

(٤) سورة آل عمران، ١٣٨/٣.

وقال عزَّ وجلَّ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾[١] أي: المنطق الفصيح المُعَبِّر عن الضمير. وفي صحيح البخاري أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلَّمَ قال: "إنَّ مِنَ البَيان لَسِحْرًا"[٢]. ممّا سبق يدور معنى البَيان حول الوضوح والتعبير عن مُراد النَّفْس، والنطق الصحيح للكلام، أي حُسْن الأداء، وقوَّة التأثير.

وأمّا ابن هشام الأنصاريّ ت٧٦١هـ فعرَّفَ الجملة التفسيريَّة فقال: "التفسيريَّة، وهي الفضلة الكاشفة لحقيقة ما تليه"[٣].

وأمّا الشيخ خالد الأزهريّ ت٩٠٥هـ فيرى أنَّ "المُفَسِّرة التي لا محلَّ لها من الإعراب، هي الكاشفة لحقيقة ما تليه، مِنْ مُفرد أو مُرَكَّب، وليست عُمْدَة..."[٤].

ويتفق ابن هشام الأنصاريّ ت ٧٦١هـ والشيخ خالد الأزهريّ ت ٩٠٥هـ على أنَّ الجملة التفسيريَّة وظيفتها الكشف لحقيقة ما سبقها،

(١) سورة الرحمن ٥٥/٣-٤. وانظر: الزمخشريّ، الكشاف، ٤٤٣/٤، والنَّسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق يوسف علي بديوي، ومحيي الدين ديب الطبعة الأولى، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٩٩٨م، ٤٠٩/٣.

(٢) البخاريّ، صحيح البخاريّ بشرح الكرمانيّ، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٩٨١م، ص١٩٧٦/٥.

(٣) ابن هشام، مُغني اللبيب عن كُتب الأعاريب، ١٠٦/٥-١٠٧.

(٤) الشيخ خالد الأزهريّ، شرح قواعد الإعراب، تحقيق خالد إسماعيل حسّان، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٣م، ص٩٦.

وعدّاها فضلةً، لا محلَّ لها مِن الإعراب، بقطع النظر عمّا تُفَسِّره، ألهُ محلٌّ أم لا.

وأمّا سيبويه ت ١٨٠هـ فذكر الجملة التفسيريَّة تحت عنوان" هذا باب ما تكون فيه أنْ بمنزلة أيْ"[١]. ومِن هنا لم يدرسها تحت مصطلح الكلام، بل درسها في باب أدوات المعاني. لذا ذكرتُ سيبويه بعدَ ابن هشام الأنصاريّ ت٧٦١هـ والشيخ خالد الأزهريّ ت ٩٠٥هـ ترتيبًا موضوعيًّا لا زمنيًّا هنا.

وقد اختلفَ علماءُ النَّحو العربيّ القدماء في المحلّ الإعرابيّ للجملة البيانيَّة"المفَسِّرَة"، فجمهور النحاة يرى أنها لا محلَّ لها مِن الإعراب مثل العكبريّ ت٦١٦هـ وابن هشام الأنصاريّ ت٧٦١هـ والشيخ خالد الأزهريّ ت٩٠٥هـ "وكون الجملة الفضلة المفَسِّرَة لا محلَّ لها مِن الإعراب هو المشهور، سواء كان ما تُفَسِّره له مَحَلّ أم لا"[٢].

بينما يرى أبو علي الشَّلَوْبين ت٦٤٥هـ أنَّ الجملة البَيانيَّة "المفَسِّرَة" "بحسب ما تُفَسِّرُه، فإنْ كان ما تُفَسِّرُه له مَحَلٌّ من الإعراب فهي لها مَحَلّ،

---

(١) سيبويه، الكتاب، ص ٣ / ١٦٢.

(٢) انظر: الشيخ خالد الأزهريّ، شرح قواعد الإعراب، ص١٠٠. والعكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاويّ، القاهرة، عيسى البابي الحلبيّ وأولاده، ١٩٧٦م، ص٢/١١٩٦، وابن هشام، مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص٥/١٢٣، وأبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق جودة مبروك، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٢م، ص٤٩٠-٤٩١.

كذلك، وإلاّ، أي: وإنْ لم يكن لِمَا تُفَسِّرُه مَحَلٌّ، فلا مَحَلَّ لها"[١]. ويتَّضحُ لنا أنَّ أبا علي الشَّلَوْبين ت ٦٤٥هـ يضع ضابطًا لرأيه، وهو إذا كان ما تفسِّره له مَحَلٌّ إعرابيٌّ فالجملة المُفسِّرة تَبَعٌ له، وإنْ لم يكن لِما تُفَسّره مَحَلٌّ إعرابيٌّ فهي كذلك.

وأمّا الرأي الذي أرتضيه في الجملة "المُفَسِّرَة" فأرى أنَّ مَحَلَّهَا الإعرابيَّ تَبَعٌ لما تُبَيِّنُه وتُفَسِّرُه وتكشفُه، كما قالَ الشَّلَوبين ت ٦٤٥هـ قَبْلُ.

وأستدرك نقطة مُهمَّة، وهي الوظيفة الحقيقيَّة لهذا النوع مِن الجُمَل في اللغة العربيَّة، وهي الحَبْك والسَّبك، اعتمادًا على الدّلالة الكاشفة، والمعنى المترابط المُتدرِّج الذي يأخذ بعضه ببعض، فهذا أَوْلى بالعناية في تحليل الجملة البيانيَّة، فهي نَمطٌ فريد، يقوم بوظيفة مُهمة في تحليل الجملة وفهم معناها فَهْمًا دَقيقًا. ومِنْ هنا فهذه غاية دلالية مرتبطة بتركيب الكلمات وترابطها، فيمكن أنْ نعدَّ الجملة البَيانيَّة "المُفَسِّرَة" نوعًا مِن أنواع الحبك في الجملة العربيَّة، حيث تترابط معنويًّا، بدليل الاستغناء عن العاطف بين الجملتينِ، فضلًا عن مَزيّة البيان والكشف لما سبقَ، يقول أسامة بن مُنقذ ت ٥٨٤هـ "خير الكلام المَحْبوك المَسْبوك الذي يأخذ

(١) انظر: ابن هشام، مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص٣/٥: ١٢، والشيخ خالد الأزهريّ، شرح قواعد الإعراب، ص١٠٠، وأبو البركات الأنباريّ، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص٤٩٠-٤٩١.

بعضه ببعض"[1].

ومِمّا لفتَ نظري في هذا البحث "الجملة البَيانيَّة في القرآن الكريم، دراسةً في التراكيب والدّلالة"، أنَّ الإبهام والغموض والإجمال والتعمية والعموم في الجملة أو "الكلمة" المُفَسَّرة يمكن أنْ نَعُدَّهُ جُزءًا أساسيًّا مِن المعنى؛ لأنَّه مقصود في البنية التركيبيَّة والدّلاليَّة للجملة، وذاك القصدُ لغرضٍ دلاليّ يقومُ على وسائلَ إجرائيَّةٍ، وسوفَ نُبَيِّنه في هذه الدراسة، كما أنَّ الجملة البيانيَّة "المُفَسِّرة" تقوم بوظيفة الإيضاح والتخصيص والتحديد والتقييد وإزالة الإبهام... فذاك أيضًا جزءٌ مُتمّمٌ للمعنى المقصود؛ فكلتا الجملتينِ "المُفَسَّرة" أو السابقة و"المُفَسِّرَة" أو اللاحقة، تصلانِ بنا إلى غرضٍ مُهِمٍّ وغايةٍ ضروريَّةٍ وأساسيَّة في استعمال اللغة، ألا وهي الإفهام والفَهْم والتواصل بطريقة صحيحة واضحة مِن خلال تَحَقُّق المعنى المقصود.

ومِن الجديرِ بالذِّكْر أيضًا هنا الإشارة إلى الجانب الجماليّ للجملة البيانيَّة، مِن خلالِ التشويق، والإثارة، وجذبِ الانتباه، ومُتعة التفكير والتأمُّل والتدبُّر، وتهيئة المُخاطَب، وقوّة التأثير، وغير ذلك مِن عناصر الجمال اللغويّ التصويريّ لهذا النمط المهمّ مِن الجملة العربيَّة في الأداء اللغويّ، ليتحقَّقَ الإقناعُ والإمتاعُ معًا.

---

(١) أسامة بن مُنقذ، البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٦٢-١٦٣.

المبحث الأول: الجملة البَيانيَّة "المُفَسِّرة" المَقْرُونة بـ "أنْ" التفسيريَّة

قَسَّمَ ابنُ هِشام الأنصاريّ ت٧٦١هـ الجملة المُفَسِّرة إلى ثلاثة أقسام: الأوَّل– الجملة المُجَرَّدة مِنْ حَرْفَي التفسير، وهما "أنْ" المُفَسِّرة التي تكون بمنزلة "أَيْ" التفسيريَّة، و"أيْ" التفسيريَّة، والثاني– الجملة المقرونة بـ "أَيْ" التفسيريَّة، والثالث– الجملة المقرونة بـ "أنْ" المُفَسِّرة. يقول ابن هشام ت ٧٦١هـ: "الجملة المُفَسِّرَة ثلاثة أقسام: مُجَرَّدَة مِنْ حَرْفِ التفسير، ومَقْرونة بـ "أَيْ" كقوله[١]: [الطويل]

وتَرْمينَني بالطَّرْفِ أَيْ أنتَ مُذْنِبٌ وتَقْلينني لكنَّ إيَّاكِ لا أَقْلِي

ومقرونة بـ "أنْ": ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾[٢] [٣].

وقد ذكر سيبويه ت١٨٠هـ هذا النوع "الجملة المُفَسِّرَة" المقرونة بـ "أنْ" تحت عنوان "هذا باب ما تكون فيه "أنْ" بمنزلة "أَيْ"[٤]، وتبعه في ذلك سائر نحاة العربيَّة كالزمخشريّ[١]

(١) البيت بلا نسبة في الزمخشري، المُفَصَّل في صنعة الإعراب، ص: ٤٢٩، وابن يعيش، شرح المُفصَّل في صنعة الإعراب، ١٤٠/٨، والسِّيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد السلام هارون، وعبد العال سالم مكرم، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠١م، ٥٦/٤.

(٢) سورة المؤمنون ٢٧/٢٣.

(٣) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص١١٢/٥-١١٣.

(٤) سيبويه، الكتاب، ص١٦٢/٣.

ت٥٣٨هـ، والعكبريّ[٢] ت٦١٦هـ، والشيخ خالد الأزهريّ[٣] ت٩٠٥هـ، وغيرهم.

يقول سيبويه ت١٨٠هـ: "وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾[٤] زعم الخليل أنَّه بمنزلة "أيْ"، لأنَّك إذا قُلْتَ: انطَلَقَ بنو فلانٍ أن امشُوا، فأنتَ لا تُريدُ أنْ تُخْبِرَ أنَّهم انطلقوا بالمَشْي. . . وهذا تفسير الخليل"[٥].

ولكي نُفَرِّقَ بين "أنْ" المُفَسِّرة وغيرها، وضع علماء النَّحو العربيّ القدماء شروطًا، "وكذا يُحكم لها بأنَّها مُفَسِّرة، حيث وقعَتْ بَعْدَ جُملةٍ؛ اسميَّةٍ أو فعليَّةٍ، فيها مَعْنى القَوْل دون حروفه؛ أيْ: حروف القول، ولم تقترن "أنْ" بخافض، ويتأخَّر عنها جملةٌ اسميَّةٌ أو فعليَّةٌ"[٦].

ﻫ) الزمخشري، المُفصّل في صنعة الإعراب، ص، ٤٢٩- ٤٣٠ "ومِن أصناف الحرف حرفا التفسير، وهما "أيْ" و "أنْ" في نحو قوله عزَّ وجلَّ (واختار موسى قومه)الأعراف ١٥٥/٧. أي مِن قومه، كأنَّك قُلْتَ: تفسيره مِن قومه، أو معناه مِن قومه. . . وأمّا "أنْ" المفَسِّرة فلا تأتي إلاّ بعد فِعْلٍ، في معنى القول، كقولك: ناديته أنْ قُمْ...".

(٢) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص١٠٩٧/٢.

(٣) الشيخ خالد الأزهريّ، شرح قواعد الإعراب، ص١٥٤

(٤) سورة ص٣٨ /٦.

(٥) سيبويه، الكتاب، ص١٦٢/٣. وانظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ص٧٤٩-٧٥٠.

(٦) انظر: الشيخ خالد الأزهريّ، شرح قواعد الإعراب، ص١٥٤، وابن هشام، مُغني اللبيب =

ومِن اللافتِ للنظرِ في تلك الشروط السّالفة الذّكْر أنْ تكونَ الجملةُ المـُفَسَّرَةُ الواقعـةُ قبـل "أنْ" التفسـيريَّة فـي معنـى القـول، أي تتضـمَّنُ معنـى الفِعْل "قالَ – يقولُ – قُلْ" مِنْ دون حروفه، وذلك للفَصْل بين جملة مقول القـول المحكيَّـة، وبـين الجملـة البيانيَّـة المـُفَسِّرَة لِمـا قبلهـا، كمـا أنَّ جملـةَ القَوْلِ لا يُوجدُ بينها وبين الجملة المحكيَّة واسطة، ويُعَلِّل الزمخشري ت ٥٣٨هـ لاشتراط النحاة العرب أنْ تكون الجملة المـُفَسَّرة فيها معنى القَوْل دون حروفه "لأنَّ القول يُحكى بعده الكلام مِن غير أنْ يتوسَّطَ بينهما حرفُ تفسير"(١). فجملة مقول القول تُقَدِّمُ شرحًا وتوضيحًا للقول مِن دون أداة واسطة بينهما.

وسنحاول فيما يأتي دراسة هذا النوع مِن الجُمل البَيانيَّة مِنْ خلالِ الآياتِ القرآنيَّةِ، المصدرِ الأوَّلِ للاحتجاجِ في النَّحْو العربيّ، قال تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾(٢) ففي هذه الآية الكريمة جاءت "أنْ" بمعنى "أيْ" التفسيريَّة، ووقعت "أنْ" بعدَ جملةٍ فعليَّةٍ فعلُها ماضٍ، يتضمَّنُ معنى القَوْل دونَ حروفه، والأمر بالمَشْي هنا بَيان وتفسير للانطلاق في القَوْل.

وأيضًا مِن اللافتِ للانتباه والعناية هنا مجيء الجملة البيانيَّة المُفَسِّرَة

= عن كتب الأعاريب، ص١/١٩٢، والزمخشري، المُفصّل في صَنْعَة الإعراب، ص٤٣٠.

(١) الزمخشريّ، الكشاف، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٥م، ١/٦٨٠.

(٢) سورة ص٣٨/٦.

بصيغة فعل الأمر، على حين جاءت الجملة المُفَسَّرَة الواقعة قبل "أنْ" التفسيريَّة بصيغة الماضي، وذلك لأنَّ القصدَ هنا عدم الإخبار بانطلاقهم بالمشي، ولكنَّ القصدَ هو الأمر بالانطلاق في القَوْل، أيْ: امشوا، وهذا يتمُّ لِعِلْمِ المُخاطَبِ بأنَّ الغرض مِن الكلام هو الطلَب لا الإخبار، وذاك باب كثير في القرآن الكريم، ونقل سيبويه ت١٨٠هـ عن شيخه الخليل ت١٧٥هـ رأيه في هذه الآية الكريمة، فقال: "زعم الخليل أنَّه بمنزلة "أيْ"، لأنَّك إذا قُلْتَ: انطلقَ بنو فلان أن امشوا، فأنتَ لا تريدُ أنْ تُخبر أنَّهم انطلقوا بالمشي. وهذا تفسير الخليل. ومثل هذا في القرآن كثير"(١).

ونلحظ مِمّا سبقَ أنَّ القصدَ مِن هذا الأسلوبِ البديعِ للجملة البَيانيَّة هو استثارة ذهن المُخاطَب، وتنبيهه بلَفْت انتباهه، وشَحْذ قريحته ليتلقي أمرًا مُهمًّا مِنْ خلالِ جملةٍ مُفَسِّرَة بَيانيَّةٍ كاشفةٍ عمّا قبلها ومُبَيِّنةٍ لها، اعتناءً بالحَدَث والأمر معًا "امشوا"، لكيلا يستمعوا للقرآن الكريم فيتأثَّروا به ويُؤمنوا.

كما أنَّ السِّياقَ المقاميَّ "سياق الحال" للآية له دورٌ مُؤثِّرٌ في فَهْمِ المعنى الوظيفيّ للفعل "انطلقَ" بصيغة الماضي، والفعل "امشوا" بصيغة الأمر، حيث انطلقَ وفدٌ مِن كفار قريش بزعامة أبي جهل، فجاءوا إلى أبي طالب، فقالوا له: اكفنا أمرَ ابنِ أخيكَ، فقد تركَ آلهتنا، وطعن في ديننا،

(١) سيبويه، الكتاب، ص١٦٢/٣. وانظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ١٠٩٧/٢، وأبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، الطبعة الثانية، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ص٧٤٩-٧٥٠.

فأرسلَ أبو طالبٍ للنَّبيّ، فحين جاءَ النَّبيُّ طلبَ منهم شهادة أنْ لا إله إلا الله. فقاموا وقالوا: أَجَعَلَ الآلهةَ إلهًا واحداً؟[١].

ومعنى الآية الكريمة انطلقَ الأشرافُ مِن مُشركي مكَّة فقالوا: امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم، فلا تتبعوا محمَّدًا. فجاءت "أنْ" بمعنى "أي" في الآية الكريمة، فجملة " انطلقَ الملأُ مِنهم" أسلوبٌ خبريّ لفظًا، إنشائيّ معنًى، كما أنَّ الجُملة المُفَسِّرة كشفت عن نوع انطلاق الملأ، فهو ضَرْبٌ مِن المَشْي، ويبدو لي أنَّ الفعل " انطَلَقَ" طالما يُصاحبُ كلمة " المَلأ"، وتلك علاقة معجميَّة دلاليَّة تكشف الترابط الدّلاليّ بين الألفاظ في التراكيب، كما أنَّ الفاعِل في الجملة المفَسَّرة " المَلأ" بمعنى أشراف القوم الذين لهم أنْ يأمروا غيرَهم، وهذا ما عَرَفناه مِن السِّياق المقاميّ، أو الظروف المُحيطة بالكلام، وما بعد "أنْ" جُملة مُبَيِّنة ومُفسِّرة لما قبلها، فقد عَبَّرَت عن معنى الجملة الفعليَّة الخبريَّة قبلها، فأصبحت الجملة الأولى المُفَسَّرة " انطلقَ المَلأُ" بحاجة شديدة إلى الجملة الثانية المُفَسِّرة لها، فالجملة الأولى مُثير، يستدعي استجابة مُمَثَّلَة في الجملة الثانية.

ومِن الجدير بالذِّكْر هنا أيضًا أنَّ الأداة " أنْ" تقوم بعِدَّةِ وظائفَ صوتيًّا ودلاليًّا في تركيب الجملتينِ اللتينِ يمكنُ أنْ نعدَّهما جملة تركيبيَّة واحدة ذات نَسَقٍ خاصّ، وأُسَمِّيها "الجملة البيانيَّة" –المُكوَّنة مِن المُفَسَّر والمُفَسِّر– منها الرَّبط الظاهر بين الجملتينِ، والتعبير بها وما بعدها عن

(١) انظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ص٧٤٩–٧٥٠.

معنى ما قبلها، والجرس الصوتيّ الموسيقيّ المصحوب بالغُنَّة للنون، كصفةٍ صوتيَّةٍ أنفيَّةٍ مائزة لها، سواءٌ كانَت النون ساكنة أم مُتحرّكة أم مُشَدّدة، في نحو "أنْ"، فيُعطي جمالاً صوتيًّا للكلام، يستمتع به السَّمْعُ، وتطمئنُ إليه القلوب، فالنون تُعدّ مِن الصوامت الانطلاقيَّة الأنفيَّة التي يستمرّ الهواء في مساره عند النطق مِن دون توقّف، وتنتمي "إلى الأصوات شبه الرَّنّانة، وتُعدّ نغمة الحنجرة جوهريَّة في تكوينها... وتتسم بسمتينِ: الأولى ـ حُدوث إغلاق تامّ في أيّ نقطة مِن تجويف الفمّ. والثانية ـ انخفاض الحنك اللَّين واللَّهاة، والسماح لهواء الزفير بالانطلاق مِن خلال برزخ البلعوم الأنفيّ إلى الخارج عبر تجاويف الأنف..."[(١)].

وأيضًا يمكنُ أنْ يكونَ للوقفِ هنا تحوُّلاتٌ تركيبيَّةٌ ودلاليّةٌ مُفيدةٌ، فإذا جعلنا الوقف على "مِنهم"، ثُمَّ ابتدأنا الكلام بـ "أن امشوا" اتَّصَلَ معنى "أنْ" بما بعدها في التعبير عن معنى الفعل قبلها، وذكر الأشموني ت ١١٠٠هـ أنَّ الوقف على "منهم" وقف حَسَن[(٢)].

وإذا جعلنا الوقف على" أنْ"، ثُمَّ ابتدأنا الكلام بـ "امشوا" فيكون

(١) سعد مصلوح، دراسة السَّمع والكلام، ص ١٧٩، ١٨٠، وانظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغويَّة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريَّة، ١٩٩٥م، ص ٧٢، ٧٣. ففيه فضل بيان في الحديث عن مخرج النون وصفتها الأنفيَّة، وحالاتها عند الإظهار والإدغام والإخفاء وغير ذلك.

(٢) انظر: الأشموني، منار الهدى في الوقف والابتداء، تحقيق عبدالرحيم الطرهوني، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٨م، ص ٢٠٤/٢.

للأداة "أنْ" وظيفة التشويق وشَحْذ الذِّهن ولفت الانتباه لدى المُخاطَب، وأمَّا إذا وصلنا الكلام مِنْ دون وقفٍ انحصرت وظيفة "أنْ" في معنى التفسير فقط. وذكر الوقف على "أن" هنا السَّمين الحلبيّ ت ٧٥٦هـ[١].

وينضاف إلى ما سَلَفَ أنّ مِنْ وظائف الجمع بين المُفَسَّر والمُفَسِّر هنا تصوير المعنى، والإقناع في الحِجَاج بالتدُّرج في عَرض الفكرة بطريقة جذّابة جماليّة، فيتحقَّق التواصلُ بالفَهم الصحيح والإقناع والإمتاع.

ومِن الآياتِ الكريماتِ التي وَرَدَتْ فيها "أنْ" التفسيريَّة وبعدها جملة مُفَسِّرَة بيانيَّة كاشفة لما قبلها، قوله عَزَّ وجلَّ ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾[٢]، فالفعلُ الأمرُ هنا "اصنع الفُلكَ" بيانٌ وتفسيرٌ للوحي مِن الله إلى نوح عليه السلام "فأوحينا"، ونلحظ أنَّ الجملة "المفَسِّرَة" " المُرَكَّب الثاني"، جاءت بصيغة الفعل الأمر، أي أسلوب إنشائيّ، على حين جاءت الجملة "المفَسَّرَة" " المُرَكَّب الأوَّل" بصيغة الفعل الماضي، أي أسلوب خبريّ، فاللهُ عزَّ وجلَّ لا يريد الإخبار بالوحي، ولكنَّ الوحي هنا أمرٌ وإلهامٌ مِن الله لنوح، وهذا خِطابٌ عامٌ، يحتاج إلى تخصيص دلاليّ، فقامَ المُرَكَّب الثاني "اصنع الفلك" بتحديد الدّلالة، وتخصيص الأمر بصُنع الفُلك، والجارّ والمجرور "إليه" يتعلَّق بالفعل الماضي "أوحى"، والفاعِل "المسند إليه" هنا هو ضمير العظمة لله وهو الناء الدّال على الفاعِلين، ومضمون الكلام "

(١) انظر: السَّمين الحلبيّ، الدُّرّ المِصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمَّد الخرّاط، الطبعة الثالثة، دمشق، دار القلم، ٢٠١١م، ص ٢٥٨/٩، ٢٥٩.

(٢) سورة المؤمنون ٢٧/٢٣.

أَمَرْنا نوحًا"، ثُمَّ فُسِّرَ ذلكَ الأمرُ مِن اللهِ بالفِعْلِ الأمرِ المُباشر الدّال على الخطاب "اصنع الفُلك".

وحين قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ ﴾[1] حدثَ استثارةٌ لذهن المُخَاطَب، وتشويقٌ له، وسؤاله بِمَ أوحى اللهُ إلى نوح؟ فجاء الأسلوبُ البيانيُّ الكاشفُ والمُفَسِّرُ في قوله تعالى ﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾[2] فَثَمَّةَ جملةٌ مُبْهَمةٌ، تُكَوِّن جزءًا مُهِمًّا مِن المعنى، وهي الواقعة قبل "أنْ" التفسيريَّة، وأخرى مُبَيِّنَةٌ وكاشفةٌ لما قبلها، وهي الواقعة بعد "أنْ" التفسيريَّة فتلك علاقة استدعاء بين الجملتينِ، بالإضافة إلى خصوصية هذا التركيب الأسلوبيّ الذي يقوم على شروط وضعها علماء النحو العربيّ القدماء، ليتحقَّقَ قصدُ المُتكلِّم عند استعمالِ الكلام.

كما نلحظُ دور التوليد الدّلاليّ في التركيب النحويّ الأسلوبيّ الخاصّ هنا، وهو قصد بدء الكلام بالعموم والإبهام، ليكون الكلامُ أوقعَ في النفس الإنسانيَّة، المفطورة على الانجذاب نحو ما تجهله، ثمَّ يزول هذا الإبهام بذِكْر الجملة المُفَسِّرة بعد "أنْ" التفسيريَّة. يقول الشيخ خالد الأزهريّ ت٩٠٥هـ: "أي: اصنع، فالأمر بصُنع الفُلك تفسيرٌ للوحي"[3].

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣/٢٧.

(٢) سورة المؤمنون ٢٣/٢٧.

(٣) الشيخ خالد الأزهريّ، شرح قواعد الإعراب، ص١٥٤، وانظر: الزمخشريّ، الكشاف، ص١٧٩/٣، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسيَّة للنشر، ١٩٨٤م، ص ١٨/٤٥، ٤٦.

وقد تقع الجملة المُفَسِّرَة البيانيَّة المسبوقة بـ "أنْ" التفسيرية بين جملتينِ، الأولى– توضِّح أنَّ كلَّ ما في الكون مِلْكٌ لله، والثانية– خاتمة للآية تُعقِّبُ على الأولى، بأنَّ الله تعالى غَنِي عن خَلْقه، وعن عبادتهم له، على الرغم مِنْ كثرة نِعَمه عليهم، وفي ذلك حَثٌّ لهم ليشكروا الله ولا يكفروا به. قال تعالى﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴾[1] ففي هذه الآية الكريمة جاءت الجملة البيانيَّة مُحَقِّقةً لشروط علماء النَّحو العربيّ، فوقعت الجملة المُفَسِّرَة البيانيَّة بعد "أنْ" التفسيريَّة "أن اتقوا الله"، والأمر هنا بتقوى الله تخصيصٌ وتحديدٌ للتوصية التي هي بمعنى القول في الجملة المُفَسَّرَة "ولقد وصَّينا الذين أوتوا الكتاب مِن قبلكم وإيَّاكم"، فالتوصيةُ حَدَثٌ عامٌ للأمم السابقة مِمَّن أوتوا الكتاب، وكذلك لأمَّة سَيِّدنا محمَّد صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، فكأنَّ القرآنَ يحكي لنا الحدثَ الماضي في لفظ الإخبار، ويكون القصد منه الأمر، ويتَّضح ذلك مِن خلال المُرَكَّب الثاني الذي يُصَرِّح فيه بلفظ الفعل الأمر المُفَسِّر لما قبله، ومِن هنا حَدَثَ انتقالٌ مِن العامّ إلى الخاصِّ، ومِن الخبرِ إلى الإنشاء، اعتمادًا على وسيلتينِ اثنتينِ: الأولى ـ لقد تَضَمَّنَ الفعل الماضي "وَصَّينا" معنى القول مِن دون حُروفه، وهذا يُعطي ثراء في الدّلالة، مِن خلال اتِّساع المدَى الدّلاليّ للفظ، إذ يجمع الفعل "وَصَّى" بين دلالتينِ، وهما القَوْل

(١) سورة النساء ٤/١٣١.

والتوصية، والوسيلة الثانية– حيثُ تضَمَّنَت "أنْ" معنى "أيْ" التفسيرية، وفي ذلك أيضا ثراء دلاليّ مِن خلالِ الجمع بين دلالتينِ، وهما: "أيْ" التفسيريَّة، و "أنْ" الدّالة على الاستقبال، وهذا أيضًا يُعطى اتِّساعًا في المدَى الدّلاليّ للأداة "أنْ"، وكلُّ هذا مِنْ باب حَمْل الكلام على معناه لا لفظه، ثمَّ يتحوَّلُ الأسلوبُ مِن الحَمْلِ على المعنى بطريق التضمين إلى الحَمْلِ على اللفظ مِنْ خلالِ الجملة المُفَسِّرَة الكاشفة البيانيَّة "اتقوا الله"، ففيها تمام الأركان، وتمام الوضوح، وتخصيص الدّلالة بإزالة العموم، والتدرُّج في توصيل المعنى المُراد في الآية الكريمة، وأيضًا دليل على أهمية هذا الأمر للأمم السابقة واللاحقة، وهو تقوى الله عزَّ وجلَّ.

ومِمّا سبقَ يستبينُ لنا أنَّ الإطالة في التركيب هنا على مستوى المعنى واللفظ، ثَمَّ لغرضٍ يتطلبه قصدُ المتكلِّم مع بلاغة الإبلاغ في استعمال الكلام. يقول العكبريُّ ت٦١٦هـ: "وأن اتقوا الله، يجوز أنْ تكون "أنْ" بمعنى "أيْ"، لأنّ "وَصَّينا" في معنى القول، فيصحُّ أنْ يُفَسَّرَ بـ "أيْ" التفسيريَّة"[1] ومِن هنا فالجملة المُفَسِّرَة البيانيَّة يُؤتى بها عند الحاجة إلى الإيضاح، وذلك لوجود مُبهم "الجملة المُفسَّرَة"، والإبهام عموم.

ويبدو لي أنَّ مِنْ أغراض استخدام الجملة المُفَسَّرَة المقرونة بـ "أنْ" التفسيريَّة لفتَ نظرِ المُخاطَب، لينتبه إلى شيء مُهمّ جدًّا، في أسلوب تشويقيّ جَذّاب، وبطريقة تُوصفُ بالإقناعِ، فيتحقَّق عنصر الإقناع في

(١) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص١/٣٩٦، والزمخشريّ، الكشاف، ص١/٥٦١-٥٦٢.

الحُجَّة والإمتاع في جمال الأسلوب، مثلما نجد في الأحكام العقائديَّة، المرتبطة بالتوحيد، وعدم الإشراك بالله، قال عَزَّ وجل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1] فقد وقعت الجملة المُفَسِّرَة البيانيَّة بعد "أنْ" التفسيريَّة، وجاءت في أسلوب إنشائيّ بطريق النَّهي، ويتكوَّن مِنْ "لا" الناهية، والفعل المضارع "تعبدوا"، ثمَّ أداة الاستثناء "إلاّ"، وبعدها المفعول به المقصور والمخصوص مِن النَّهي، وهو الضمير المُنفصل "إيّا"، وقد قامت الجملة البيانيَّة "المُفَسِّرَة" لما قبلها بتحديد الغرض المُهِمّ المقصود، وهو "لا تعبدوا إلا الله"، يقول العكبريّ ت٦١٦هـ: "ألاَّ تعبدوا" يجوز أنْ تكون "أنْ" بمعنى "أي"، وهي مُفَسِّرة لمعنى "قضى"[2]. ومِن ثَمَّ فالجملة البيانيَّة "المُفَسِّرَة" هنا– وهي "لا تعبدوا إلاّ الله"– كاشفة لحقيقة الجملة السابقة عليها "المُفَسَّرة"، وهي "وقضى ربُّك"، وتلك الجملتانِ "المُفَسَّرة" و"المُفَسِّرة" يكوِّنان تركيبًا ممتزجًا فريدًا، فكأنَّهما معًا جملةٌ واحدةٌ، "المُرَكَّب الأوَّل" المُسْنَدُ إليه فيها الجملةُ "المُفَسَّرَة"، "والمُرَكَّب الثاني "المُسْنَدُ وهو الجملة "المُفَسِّرَة"، وتقوم الأداة "أنْ" التفسيريَّة بوظيفةِ واسطةِ العِقْدِ التي تربط بينهما، في علاقة الاستدعاء بين الجملتين، فالمُرَكَّب الأوَّل يستدعي المُرَكَّب الثاني، فجملة "قضى ربُّك" بمعنى حَكَمَ رَبُّك، أسلوب خبريّ لفظًا، حيث وقعَ الخَبَرُ موقعَ الطَّلَب، فإنَّ لفظه خبر،

(١) سورة الإسراء ١٧/٢٣.

(٢) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص٢/٨١٧.

ومعناه الطَّلب، وذلك لعِلْمِ المُخاطَبِ؛ لأنَّ اللهَ يأمرُ لا يُخبرُ هنا، وتلك الجملة الأولى المُفَسَّرة تستدعي الجملة الثانية المُفَسِّرَة "لا تعبدوا إلاّ إيّاه" أسلوب إنشائيّ بطريق الحصر والقصر للتوكيد، والمحصور هو " إيّاه"، فالمُستمع حين يسمع "قضى ربُّك" يسأل بِمَ حَكَمَ اللهُ؟ فيكون الجواب " أنْ لا تعبدوا إلاّ إيّاه"، فكأنَّ الجملتينِ جملةٌ واحدةٌ، وقد توفَّر هنا عنصرا الإسناد والإفادة.

ومِن السِّمات التركيبيَّة في بنية هذا النمط مِن الجملة المُفَسِّرَة البيانيَّة المقرونة بـ "أنْ" التفسيريَّة أنْ تكون الجملة "المـُفَسَّرة" "المُرَكَّب الأوَّل" فعليَّة فعلها ماضٍ، بمعنى القَوْل الدالّ على معنى الأمر، ومعروفٌ لدى النَّحْو العربيّ أنَّ الفِعْلَ يُتَحدَّث عنه، وأنْ تكون الجملة "المـُفَسِّرة" "المُرَكَّب الثاني" نوعها اسميَّة، فتدلّ على وصفٍ ثابتٍ مُسْتَقِّر، كالقوانين الإلهيَّة الثابتة في الكون، ليكون الإنسان على يقين بالله عزَّ وجلَّ مُدَبِّر الأمر في السموات والأرض، ومعروف أيضًا أنَّ الاسم يُتَحدَّثُ به، وهنا تجدر الإشارة والتنبيه إلى عِلَّة هذا التركيب اللغويّ الفريد، الذي يَتَّصفُ بالإطالة في عرضِ قصدِ المتكلِّم، ألا وهو الحاجة الشديدة إلى شيء يحتاج إلى مزيدٍ مِن العناية والاهتمام مِنْ ناحية المـُخاطَب، لِيتحقَّقَ قُوَّة التأثير مِن خلال الإقناع والإمتاع معًا، يقول ابن جنّي ت٣٩٢هـ: "وأنَّهم متى اضطروا إلى الإطالة لداعي حاجة أبانوا... وجعلوه كالمنبهة على فرطِ عنايتهم، وتَمَكُّن

الموضع عندهم"[١] قال تعالى ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٢]، فقد جاءت الجملة البيانيَّة " المُفَسِّرَة" المقرونة بـ "أنْ" التفسيريَّة اسميَّةً، وهي "لعنة الله على الظالمين"، أسلوبًا خبريًّا لفظًا إنشائيًّا مَعْنًى، غرضه الدّعاء، فقد فُسِّرَ أذانُ المُؤذِّن بأنَّه دعاء عليهم باللَّعنة والطَّرد مِن رحمة الله، فالأذان إعلامٌ فُسِّرَ بجملة اسميَّة، تدلُّ على الثبات والاستمرار، يقول مكيُّ بنُ أبي طالب القيسيّ ت٤٣٧هـ: "ويجوز أن تكون "أنْ" في حال التخفيف بمعنى "أيْ" التي للتفسير، فلا موضعَ لها مِن الإعراب"[٣] وفي ذلك إشارة إلى جواز مجيء "أنْ" هنا بمعنى "أيْ" التفسيريّة.

وثَمَّةَ طَرْحٌ دلاليٌّ لهذا النمط التركيبيّ المُكَوَّن مِن " المُركَّب الأول والثاني"، أو المُكوَّن مِن الجملتينِ المُفَسَّرة والمُفَسِّرة، ويمكن أنْ نعدَّ العلاقة بينهما نوعًا مِنْ أنواع شبه الترادف المُتدرِّج، فالمُركَّب الثاني مُرادف للأوَّل الذي يستدعيه، للحاجة إليه ليشاركه في التعبير عن مُراد الكلامِ بنيةً ودلالةً.

ومِن المثُل القرآنيَّة التي نلحظ فيها القصد إلى الإطالة في الكلام لداعي الحاجة إليها، للإبانة عن شيء يحتاج إلى فرط عناية به، وهو توحيد

(١) ابن جنّي، الخصائص، ص١/٨٦.

(٢) سورة الأعراف ٧/٤٤.

(٣) مكي القيسي، مُشكل إعراب القرآن، تحقيق محمد عثمان، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ص١٩٢، وانظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص١/٥٧١.

الألوهيَّة وتوحيد الربوبيَّة، قوله عَزَّ وجلَّ ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]. يقول العكبري ت٦١٦هـ: "أنْ يا موسى، أنْ: مُفَسِّرَة؛ لأنَّ النِّداءَ قَوْلٌ، والتقدير: أَيْ يا موسى"[2]. فحُمِلَت جملة "نودي" على معنى القول، ثُمَّ فُسِّرَ القولُ بجملةٍ بيانيّةٍ، نوعها طلبية نداء، وذاك أسلوب إنشائي "يا موسى"، ثمَّ فُسِّرَ النِّداء بجملة اسميَّة مُؤَكَّدة "إنّي أنا اللهُ ربُّ العالمين".

وفي رأيي أنَّ الجملة البيانيَّة الاسميَّة المقرونة بـ "أنْ" التفسيريَّة هنا هي مجموعُ النِّداء وما يليه "يا موسى إنَّي أنا اللهُ ربُّ العالمين"، وأمَّا الجملة المـُفَسَّرة الفعليَّة "نُودِيَ" جواب الشَّرط، فهي الفعلُ الماضي المبني للمفعول "لما لم يُسَمَّ فاعِلُه"، وهذه الصيغة الفعليَّة ليست على سبيل الإخبار، ولكن تحكي حال القول بالنِّداء في حَدَثٍ عظيم، حَدَّدَ اللهُ مكانه وزمانه، فالمُنادِي هو الله، والمُنادَى هو موسى عليه السَّلام، كما نلحظ دِقَّة التحديد و الوصف للمكان بطريق الإضافة "الوادِي" والصفة "الأيمن"، والمكان الموصوف "البقعة المـُباركة"، وكذلك ذِكْر "الشَّجَرة"، فكلُّ هذا الوصفِ الدقيقِ والتصويرِ للمكان تهيئةٌ وتنبيهٌ ومُشاركةٌ للمُخاطَبِ لاستقبالِ النِّداء المُهِمّ، ليكونَ أوقعَ في النَّفس "أنْ يا موسى إنِّي أنا اللهُ رَبُّ العالمين"، تلك جملة اسميّة تدلُّ على الثبات والاستمرار والاستقرار، كما نلحظُ أيضًا تعلُّقَ الجارّ والمجرور "مِنْ شاطئ" و "في البقعة" بالفِعْلِ

(١) سورة القصص ٢٨/٣٠.

(٢) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص٢/١٠٢٠.

الماضي "نُودي"، لتحديد مكان النِّداء.

فيما سبقَ نجدُ أنَّ الجملة البيانيَّة– في رأيي– هي مجموع الجملتين اللتينِ تتوسَّطهما "أنْ" التفسيريَّة، كرابط لفظيّ، يربط بين الجملة الأولى الفعليَّة المُفَسَّرة "نُودِيَ"، والثانية الاسميَّة المُفَسِّرة "يا موسى إنِّي أنا اللهُ ربُّ العالمين"، أو هي أداة تنبيه وتهيئة للمُخاطَبِ، فهي جملة مُركَّبة مُمْتدَّة، وفي ذلك النوعِ التركيبيِّ الفريدِ بناؤه مِن الجملة العربيَّة تشويقٌ وقُوَّةُ تأثيرٍ في النَّفس لدى المُخاطَب، إعلاء لشأنِ الرسالة التي يستقبلها موسى عليه السَّلام مِن ربِّ العِزَّة، وهو المتُكلِّم، فالذي نادى هو الله، والمُنادَى هو سَيِّدُنا موسى عليه السَّلام، والخطاب والرسالة "إني أنا اللهُ رَبُّ العالمين". وفي هذه الجملة الاسميّة توكيد بالأداة "إني" والضمير المنفصل "أنا"، كما بدأ بلفظ الجلالة "الله" كتوحيدٍ للألوهيَّة، ثمَّ تلاه كلمة "رَبّ" كتوحيد للربوبيَّة للعالمين، نظرًا لأهمية الحدَث.

ومِن الجدير بالذِّكر هنا في الجملة المَقرونة بـ "أنْ" التفسيريَّة، أنَّ الجملة الأولى المُفَسَّرَة في الأمثلة السابقة الذِّكْر وغيرها، جاءت تلك الجملة الأولى بصيغة الفعل الماضي، والقصد هنا ـ كما ذكرتُ آنفًا ـ ليس الإخبار، ولكنَّه حكاية القول والمقول معًا في سياق المقام والمقال معًا.

كما نلحظُ أيضًا أنَّ النِّداء في السِّياق القرآنيّ يتضمَّنُ معنى القول، نحو ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[1] وقوله تعالى ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾[1]. وغير ذلك في القرآن

(١) سورة الأعراف، ٧/٥٠.

كثير.

وقد تأتي الجملة المُفَسِّرَة المقرونة بـ "أنْ" التفسيريَّة كاشفةً ومُوَضّحةً لمحذوفٍ مُقَدَّرٍ مِنْ خلال السياق اللغويّ والمقاميّ، وتلك خَصِيصَة أخرى لهذا النمط التركيبيّ الفريد بناؤه في الجملة العربيَّة في القرآن الكريم، بطريق الحذف والتقدير، قال عَزَّ وجلَّ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٢] فقد جاء المُفَسَّر محذوفًا تقديره "قائلين" محمول على المعنى، لدلالة السياق عليه مِنْ خلالِ القرائنِ اللغويَّة، وهذا المحذوف المقدَّر يتضافر مع "أنْ" التفسيريَّة في ربط الكلام، ثمَّ تأتي الجملة المُفَسِّرَة بطريق النهي عن الإشراك بالله "لا تُشرك بي شيئا"، ومِنْ هنا أرى أنَّ الجملة البيانيَّة هنا هي مجموع المُفَسَّر والمُفَسِّر معًا، يقول العكبريّ ت٦١٦هـ: "تقديره: قائلين له: لا تُشْرك، فـ "أنْ" مُفَسِّرَة للقول"[٣]. ومِن هنا نلحظُ أنَّ "بوَّأنا لإبراهيم مكان البيت قائلين له" جملة مُفَسَّرة" فيها إبهامٌ وعمومٌ مقصودٌ، ليستدعي الجملة "المُفَسِّرة" التي تؤدّي وظيفة الإيضاح والتخصيص والتحديد "لا تُشرِكْ بي شيئًا وطَهِّرْ بيتي للطائفين والعاكفين والرُّكع السُّجود"، وذلك أسلوب إنشائي يتكوَّن من النهي "لا تُشرك" والأمر "طَهِّرْ"، وفي ذلك إزالة

---

(١) سورة الصافات، ١٠٤/٣٧.

(٢) سورة الحج، ٢٦/٢٢.

(٣) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص٩٤٠/٢.

للإبهام بتوضيحه، فالنَّهي والأمر هنا مُوَجَّهانِ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ لإبراهيمَ عليه السَّلام.

وأمّا المحلُّ الإعرابيُّ للجملة المُفَسِّرَة فيما سبقَ فأجده لا يُمثِّلُ قرينةً دلالية مُؤثِّرة في فَهْم المعنى المراد. فإذا أخذنا برأي العكبريّ ت٦١٦هـ، فلا محلَّ لها مِن الإعراب، وإذا أخذنا برأي الشَّلوبين ت٦٤٥هـ فيكون المحلّ الإعرابي بحَسَب ما تُفَسِّره[١].

(١) ابن هشام، مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص١٢٣/٥، والشيخ خالد الأزهريّ، شرح قواعد الإعراب، ص١٠١.

المبحث الثاني: الجملة البيانيَّة "المُفَسِّرة" للمُفرد "الكلمة"

مِنْ خصائصِ الجملةِ البيانيَّةِ "المُفَسِّرة" لمفرد أو لكلمة قبلها عدم اقترانها بـ "أنْ" التفسيريَّة، والاستغناء عن العاطف، واعتمادها على الرَّبْط المعنويّ الداخليّ، وقد تكون الجملة المُفَسِّرَة البيانيَّة هنا خبريَّة، أو إنشائيَّة، فعليَّة أو اسميَّة، مُثبتة أو مَنفيَّة، وقد تأتي الكلمة المُبْهَمَة مُفردة، أو مُرَّكبًا إضافيًّا، أو مُركَّبًا وَصْفيًّا، وقد تكون هذه الكلمة نكرة، أو معرفة، أو جامدة أو مُشتقَّة، أو مفردة أو مُثَنَّى أو جمعًا وغير ذلك مِنْ أنماط صيغ الكلمة في الصَّرْفِ العربيّ، مِنْ حيثُ التقسيم الصَّرْفيّ، أو الصِّيغ الصرفيَّة، أو الاشتقاق، أو النوع أو غير ذلك، ومِن هنا نستفيد مِن التحليل الصرفيّ في الكشف عن بعض خصائص الجملة البيانيَّة في القرآن الكريم.

واللغةُ العربيَّةُ لغةُ بيانٍ، ومِن مقاصدِ النَّص القرآنيّ البيانُ للناس، قال عزَّ وجلَّ ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾[1]. فإذا بدأ الكلامُ بكلمةٍ مُبْهَمةٍ مِن حيثُ الوظيفة الدّلاليَّة في الجملة السابقة على الجملة البيانيَّة التفسيريّة، فلابُدَّ مِنْ ذِكْرِ بيانٍ وكشفٍ وتوضيحٍ لها، وذلك التركيبُ الأسلوبيُّ المُبْهَمُ مقصودٌ كجُزءٍ مِن المعنى، فقد يكون الباعثُ إليه أنَّ ذِكْرَ الشيءِ مُبْهَمًا ثُمَّ بيانه وتفسيره بجملة بعده يكونُ أوقع في النَّفْس، فيؤدّي ذلك إلى لفتِ الانتباه، واستدعاء الاهتمام والعناية بما يأتي مِن إيضاح، كما أنَّه أقوى في الحُجَّة، وتلك الجملة البيانيَّة المُكَوَّنةُ مِن المُفَسَّر والمُفَسِّر تُوصَفُ بتمامِ

(١) سورة آل عمران ١٣٨/٣.

الأركانِ، وتمامِ الإيضاح والفائدة.

فهي تشبه الوقف التامّ في القرآن الكريم، وهو الوقف "الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده، لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده"[(١)] فأحيانًا يستعمل القرآن الكريم طريقة التشبيه في عرض الجملة البيانيَّة، والتشبيه ضَرْبٌ مِن أضْرُب تفسير المعنى، جديرٌ بأنْ يُعنى به في قضايا التراكيب و الدّلالة، قال تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[(٢)] موضع الشاهد هنا: الكلمة المُفَسَّرة " مثل عيسى"، والجملة المُفَسِّرة " كمثل آدم خلقه مِن تراب"، وحين نتأمَّلُ الجملة البيانيَّة في الآية الكريمة، نلحظ أنَّها استخدمت التشبيه كوسيلة تركيبيَّة ودلاليَّة في عرض قضية خَلْق عيسى عليه السَّلام، ونجد أنَّ المُرَكَّبَ الإضافيّ "مَثَل عيسى" يحتاج إلى بيان وكشف لأنَّه يدلُّ على العموم والإبهام، وهو يتعلَّق بأمرٍ عَقَديّ عند الذين قالوا بالتثليث مِن النَّصارى، أو قالوا: إنَّ عيسى ابن الله، فاستعملَ القرآنُ الكريمُ نوعًا فريدًا مِن الأسلوب يتَّسِمُ بالتدرُّج في الحُجَّة والإقناع مع التشويق والإمتاع، ولفت الانتباه، وشَحْذ الذِّهْن، فَشَبَّهَ خَلْقَ عيسى بخَلْق آدمَ، فآدمُ مخلوقٌ مِنْ تراب، وقيلَ له: كُنْ فيكون، فكذلك

(١) أبو عمرو الداني، المكتفى، تحقيق يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة ط٢، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م، ص ١٤٠، وانظر: محمد سالم محيسن، الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربيَّة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م، ص ٤٦، وتعريفه للوقف التام هناك: " وهو الوقف على كلمةٍ لم يتعلَّق ما بعدها بها، و لا بما قبلها ".

(٢) سورة آل عمران، ٥٩/٣

عيسى، وهنا يجبُ لفت الانتباه إلى كثرة استعمال الجملة البيانيَّة في القضايا المتَّصِلة بالعقيدة، وذلك يُبَيِّن لنا أهمية الجملة البيانيَّة " المُفَسَّرَة والمُفَسِّرَة" في الحِجَاج والإقناع في النَّصِّ القرآنيّ؛ لأنَّ فيها التدرُّجَ في توصيل الفكرة المُهِمَّة، والتشويقَ، وقوَّةَ التأثير، ولفتَ الانتباه بالانتقال مِن المُبْهَم إلى الواضح، ومِن العامّ إلى الخاصّ، يقول الزمخشريّ ت ٥٣٨هـ: "وقوله "خلقَهُ مِنْ تراب" جملة مُفَسِّرَة، لما له شَبَّهَ عيسى بآدم، أي: خلقَ آدمَ مِنْ تراب، ولم يكن ثَمَّةَ أبٌ ولا أُمٌّ، وكذلك حال عيسى"(١).

وأمّا قول العكبريّ ت٦١٦هـ إنَّ الجملة المُفَسِّرَة "خلقه مِنْ تراب".... فلا محلَّ له"(٢) فلا يُؤَثِّر في المعنى، فهي مسألة خلافيَّة بين النحاة، سَبَق أنْ تناولناها في المِهاد.

ومِن الجديرِ بالذِّكْرِ هنا أنَّ الجُملةَ المُفَسَّرة أو المُرَكَّب الأوَّل أو "الكلمة"، وقعت في سياق جملة اسميَّة، وأسلوب خبريّ مُؤَكَّد، اعتمدَ على بلاغة التشبيه في توصيل الفكرة وتصويرها وتوضيحها "إنَّ مَثل عيسى عند الله كمَثل آدم"، فالكلمة المُحوريّة هي "مثل عيسى"، ثمَّ جاء البيان والإيضاح مِن خلال الجملة الفعليَّة التي نتحدَّث عنها "خلقَه مِنْ تراب"، ثمَّ خُتم الكلام بطلاقة قدرة الله عزَّ وجلَّ "كنْ فيكون"، وثمَّةَ تَعَلُّقٌ من

(١) الزمخشري، الكشاف، ص١/٣٦٠، وانظر: العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن، ص١/٢٦٧، والأشموني، منار الهدى في الوقف والابتدا، القاهرة، ١٩٤٣م، ص ١٣٩، والشيخ خالد الأزهري، شرح قواعد الإعراب، ص٩٨.

(٢) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص١/٢٦٧.

حيثُ المعنى بين الجملة الأولى والجملة الثانية، إذ الثانية مُفَسِّرَة للأولى، فيصيرانِ كأنهما جملة واحدة، أُسمّيها الجملة البيانيَّة المُركَّبة المُمتدَّة.

ومِن الخصائص التركيبيَّة للجملة البيانيَّة "المُفَسِّرَة" "لمُفرد" أو لكلمة، أنْ يقع "المُفسَّر" المُفرد "المُرَكَّب الأوَّل" بدلاً، وعليه وقفٌ جائزٌ، والوقف الكافي (الجائز) "هو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ"(١)، ثُمَّ يبتدِئ الكلام بجملة فعليَّة بيانيَّة له، ثمَّ تُخْتَتَمُ الآية الكريمة بأسلوبِ ذَمٍّ لهذه الكلمة، مِمَّا يُبَيِّن أنَّ تلك الكلمةَ هي بؤرةُ الخِطاب، أو مركزُ الكلام، أو الكلمة المفتاح المحوريَّة، علمًا بأنَّ الآية الكريمة أُفْتُتِحَتْ باستفهام مَنْفيّ يدعو إلى التأمُّل والتدبُّر، للعِبْرة والعِظة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾(٢) الكلمة المركزيَّة المُراد بيانُها وتفسيرها في الآية الكريمة " دار البوار" وهي المُبْدَل مِنه، أو "جَهَنَّم" وهي بدلٌ مِن "دار البَوار"، أو الفعل المحذوف

(١) أبو عمرو الداني، المكتفى ص ١٤٣، وعرَّف محمد سالم محيسن الوقف الكافي (الجائز) بقوله : "وهو الوقف على كلمة تَعَلَّقَ ما بعدها بها، أو بما قبلها، تَعَلُّقًا معنويًّا، وتَعَلَّقَ بها أو بما قبلها لفظيًّا على سبيل الجواز". الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربية، ص ٤٩. وراجع : إبراهيم بن سعيد الدوسري، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات ، دار الحضارة للنشر، الرياض ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ م، ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) سورة إبراهيم، ١٤/٢٨-٢٩.

الناصب لكلمة "جهنَّم" لكلمة " جَهنَّم" باعتبار " جَهنَّم، مفعولا به لفعل محذوف، تقديره: يصلون جَهنَّم يصلونها، ومِن هنا تكون جملة " يصلونها" تفسيرًا وبَيانًا لِما قبلها، فكلُّ هذا تصويرٌ لأمرٍ خطيرٍ يجب الانتباه إليه، وفي التدرُّج في الانتقال مِنْ "دار البوار"، ثمَّ "جَهَنَّم"، ثُمَّ "يَصْلَوْنَها" كوسيلة إقناع وتأثير مِنْ خلال الدّلالة المعجمية للألفاظ، ومِنْ خلال التركيب الخاصّ للجملة البيانيَّة. يقول العكبريّ ت٦١٦هـ: "جَهَنَّم، بدل مِن "دار البوار" ويجوز أنْ ينتصب بفعلٍ محذوفٍ، أي يصلون جَهَنَّمَ... و"يصلونها" تفسير له، فعلى هذا ليس لـ" يصلونها" موضعٌ "[1].

كما نلحظ أيضًا وجود رابط لفظيّ في جملة "يصلونها" يربطها بكلمة "جهنَّم"، وهذا الرابطُ هو ضميرُ الهاء البارز المتَّصل "ها"، وفي ذلك سَبْكٌ للتركيب، فضلًا عن تخصيص الدّلالة مِن خلال بيان نوع العذاب وحالهم في جَهَنَّم، وهو الصِّلاء، والجملة الفعليَّة التي يُعَبَّرُ بها في الآية جاءت بصيغة المُضارع "يصلونها"، تدلُّ على الحَدَث والزَّمان، والاستمرار، والتجدُّد، فكُلَّما نَضَجَتْ جُلُودُهم بَدَّلَهم اللهُ جُلُودًا غيرَها، وفي ذلك تصوير لحالة أهل جهنَّم الذين بدَّلوا نعمة الله كُفرًا.

ومِنْ طُرُقِ الإعلام والإبلاغ في تركيب الجملة البيانيَّة في القرآن الكريم، مجيء المُرَكَّب الأوَّل المُفرد "الكلمة" مُبْهَمًا، ليتساءَلَ المُخاطَبُ ويُفكِّرَ ويتدبَّرَ، تهيئةً له، وشَحْذًا لذِهْنِه، فَيُنَزَّلُ المُخَاطَبُ مَنْزلة مَنْ يجهلُ،

(١) العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن، ص٢/٧٦٩.

ثـمَّ تـأتي الجملـة المـبُـيِّنَة للمُفـرد، والكاشـفة لـه، بصـيغة الفعـل المضـارع المسبوق بلام القَسَم المؤكِّدة، والمتَّصل بها نون التوكيد الثقيلة، مع حذفِ أداة القَسَـمِ والمـُقْسَمِ بـه، وتلـك المـؤكِّداتُ في الجملـة البيانيَّـة دلالـة علـى أمرينِ: أولهما– أهمية الوعد الإلهيّ لسيِّدِنا مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ خلال "الرؤيا"، وثانيهما– إزالة أيِّ شكٍّ في نفوس المسلمينَ حول فتح مكَّة مُنتصـرينَ "لَتَـدْخُلُنَّ". قـال تعـالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[1] يقـول أبـو جعفـر النحـاس ت٣٨٨هـ: "ثـمَّ بَـيَّنَ "الرؤيـا" بقولـه عـزَّ وجـلَّ "لَتَـدْخُلُنَّ المسـجدَ الحـرامَ إنْ شـاءَ الله آمنـين"[2]. فحـين نقـفُ علـى كلمـة "بـالحقّ" يتساءلُ المُستمع ما هذه الرؤيا؟ كلون مِن ألوان التشويق، ثُمَّ يأتي الجوابُ مِـن خـلالِ الجملـة الفعليَّـة التـي فعلُهـا مضـارع، والأصـل "واللهِ لَتَـدْخُلُنَّ المَسْـجدَ الحَرامَ"، وهـذا توكيـدٌ بالقَسَـم، "لَتَدْخُلُنَّ المَسـجدَ الحرامَ" فيـزول الشَّكُّ والخوفُ مِن المسلمينَ.

ومِـنْ أغـراضِ الجملـةِ البيانيَّـةِ للمُرَكَّـبِ الأوَّلِ "المُفـرد" أو "الكلمـة" التعليـلُ بطريق الفعل المُضـارع الدّال على التجدد في الحدَث، قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3]

(١) سورة الفتح، ٤٨/٢٧.

(٢) أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، الطبعة الثانية، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ص٨٦١. والعكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص٢/١١٦٨.

(٣) سورة آل عمران ٣/١١٠.

فالكلمة المُفَسَّرَة هنا "خير أُمَّة"، والجملة المُفَسِّرَة لها "تأمرون بالمعروف وتنهون عن المُنكر وتُؤمنون بالله"، يقول العكبريّ ت٦١٦هـ: "تأمرون، خبر ثان، أو تفسير لـ "خير"[(١)]. وفي ذلك بيان وتعليل لخَيْرِيَّة أُمَّة محمد عليه السَّلام في عِلْمِ اللهِ، أو في اللوح المحفوظ؛ لأنَّ المسلمين يُكثرون مِن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر ويؤمنون بالله، "تأمرون بالمعروف وتنهون عن المُنكر وتُؤمنون بالله"، وتلك المَزِيَّة لأمَّة محمَّد مَوْضع فخرٍ ثابتٍ لها بين الأمم، والتعبير بالفعل الماضي الناقص الناسخ "كان" في قوله "كنتم" إشارة إلى أنَّ ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، وقد جاءت الجملة الثانية المُفَسِّرَة "المُرَكَّب الثاني" ثلاثة أفعال مُضارعة " تأمرون ـ تنهون ـ تُؤمنون"، تدلّ على تجدد الحدَث في الحاضر والمُستقبل.

وينضاف إلى ما سَلَفَ أنّ الجملة المُفَسِّرة "تأمرون بالمعروف" لها وظيفة دلاليَّة هنا، ففيها تخصيص دلاليّ لكلمة "خير"، والتخصيص يُعدّ بيانًا وكشفًا وتوضيحًا.

ومِن اللافتِ للنظر هنا في الآية الكريمة أنَّ الجملة الأولى المُفَسَّرَة جاءَتْ فعليَّةً فعلُها ماضٍ، على حين جاءَت الجملة الثانية المُفَسِّرَة فعليَّةً فعلُها مُضارعٌ، فقد بيَّنَ القرآنُ الماضي بالمُضارع، وتلك طلاقة قدرة الله عزَّ وجلَّ، فهو خالقُ الزَّمان سبحانه وتعالى.

وقد ترد الجملة البيانيَّة "المُفَسِّرَة" للمُفرد "الكلمة" بطريقة قصة

(١) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص١/٢٨٤، وأبو حيّان، البحر المحيط، ٣/٣٠٠، والسَّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون، ٣/ ٣٤٨.

تحكى مَوْقِفًا حَدَثَ وذاك شاهد حال، نأخذُ منه العِبَرَ والعِظَاتِ، فتلك وظيفةٌ مُهِمَّةٌ مِن الوظائفِ الاستعماليَّة للجملة البيانيَّة، فتردُ الكلمةُ مُبهمةً في سياق تركيبيّ، فالإبهام هنا ليس غرابة لفظيّة معجميّة، ولكنَّها غرابة تركيبيَّة مقصودة كجزء مِن المعنى، ثمَّ يتمُّ شرحُها وتوضيحُها وتصويرُها مِنْ خلال حوار بينَ مُتحاورين، فالإيضاح مِن خلالِ جملة تركِيبيّة، تُوصَفُ بتمام المعنى والإفادة، وأسلوبُ القَصِّ فيه تشويقٌ وتأثيرٌ وإقناع وإمتاع معًا، وأيضًا فيه عِبَرٌ وعِظاتٌ، قال تعالى ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ ... وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾[1] يقول العكبريّ ت٦١٦هـ: قوله تعالي "مَثَلاً رجلينِ": التقدير: مَثَلاً مِثْلَ رجلَيْن. و"جعلنا": تفسير المَثَل..."[2] فالمُفَسَّر هنا "مَثلا رجلين" في الجملة الفعليَّة المُصَدَّرة بالفعل الأمر "اضربْ"، فعلى الرَّغم مِن تمامِ الأركانِ في الجملة الأولى المُكوَّنة مِن الفعل والفاعل والمفعول به "واضربْ لهم مَثلا رَجُلَيْنِ"، إلا أنَّ معنى المفعول به "مَثلا" والبدل "رجلينِ"، لا يزال مُبهمًا، وذلك إبهامٌ تركيبيٌّ مقصودٌ كجزءٍ مِن المعنى المُراد؛ لأنَّ ما بعدها مُتعلِّق بها معنويًّا، ليُحسنَ المُخاطَب تلقي حقيقة المثل، فكأنَّ الجملةَ الأولى كلها "المُرَكَّب الأوَّل" مُسندٌ إليه، ثمَّ تأتي الجملة الثانية "المُرَكَّب الثاني" "المُفَسِّرة" لتوضَّح المثل

(١) سورة الكهف ١٨/٣٢-٤٣.

(٢) العكبري، التبيان في إعراب القرآن ٢/٨٤٦.

وتُفسِّره، فكأنها المُسند الذي تتمّ به الفائدة والمعنى المُراد، فيحسُنُ السُّكُوتُ عليه.

فالمُرَكَّبُ الأوَّل " مثلاً رجلينِ"، والمُرَكَّب الثاني "جعلنا لأحدهما جنتينِ مِن أعناب..."، ففسَّرَت الجملةُ الثانيةُ المَثَلَ في الجملة الأولى، وذلك بطريق القصَّة المذكورة في السورة.

ومِنْ خصائصِ الجملةِ "المُفَسِّرَة" للمُفرد قبلها أو المُرَكَّب الأوَّل " الكلمة داخل التركيب الجُمْليّ" أنْ تكون الجملة الثانية جملة إنشائيَّة استفهاميَّة لفظًا خبريَّة منفيَّة مَعْنًى، للمبالغة والتوكيد، قال تعالى ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1]. الكلمة المُراد بيانُها في الآية الكريمة "النَّجْوى" داخل تركيب "وأسرُّوا النَّجوى" جملة فعليَّة فعلُها ماضٍ، وهو التناجي الخَفِيُّ، وهي مَصْدَرٌ مُعَرَّفٌ بأل، وهي بذلك تحتاج إلى بيان، ففِيمَ تناجَى بينهم الذين ظلموا؟ فجاءت الجملةُ الثانيةُ مُفَسِّرةً وكاشفةً عن هذا التناجي بينهم "هَلْ هذا إلا بَشَرٌ مِثْلكُمْ"؟

يقول ابن هِشام الأنصاريّ ت٧٦١هـ: "فجملة الاستفهام مُفَسِّرَة للنَّجْوى، و "هل" هنا للنفي"[2]. وقد حُمِلَتْ أداةُ الاستفهام "هل" على معنى النَّفي، بمعنى "ما" النافية، وهذا يُعدُّ مِن باب تناوب أدوات المعاني

(١) سورة الأنبياء ٣/٢١.

(٢) ابن هشام، مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص١٠٦/٥، والشيخ خالد الأزهري، شرح قواعد الإعراب، ص٩٧.

بعضها مكان بعض لاتّساع الدّلالة، ثمَّ جاءَتْ أداة الاستثناء "إلاّ" ويليها المحصور "بشر"، إذن حُمِلَ الكلام على معنى الاستثناء الناقص المنفي. ومعنى الكلام "ما هذا إلاّ بَشَرٌ مِثلكم"، فالتناجي فيه دلالة النفي والاستفهام لكشف حال تعجبهم، حيث وصفوا بأنَّهم ظالمون، وهذا يُفَسَّر مِن باب الحَمْل على المعنى، فالمُراد مِن جملة " هل هذا إلاّ بشرٌ مثلكم؟ " ليس السؤال، ولكنَّه النفي المؤكَّد بطريقة الحصر والقصر، حيث أرادوا حصرَ الرَّسولِ في أنَّه بشرٌ مثلُهم، ليخلعوا عنه بذلك الرِّسالة والنُّبوّة، في زعمهم الفاسد.

ومِنْ مُثُل مجيء الجملة المُفَسِّرة للمُفرد جملةً إنشائيَّةً مُؤَكَّدةً في القرآن الكريم قَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم ﴾[1] فجملة "هل مِن خالقٍ غيرُ اللهِ يرزقُكُم" بيان وتفسير للمُرَكَّب الإضافي "نعمة الله"، والأداة "هل" بمعنى "ما"، والمعنى "ما خالق إلا الله"، وكلمة "غير" هنا أداة استثناء[2]. والغرض هنا مِن الأسلوب الاستثنائيّ هو توكيد الإقرار بأنَّ الله هو الخالق الرزّاق، كما أنَّ مِن وسائل التوكيد هنا استخدام حرف الصِّلَة " مِن" وطريقة الحصر والقصر، فضلًا عن حَمْل الكلام على معناه، فجاءت "هلْ" بمعنى "ما" النافية، بالإضافة إلى

(١) سورة فاطر ٣/٣٥.

(٢) انظر: الفرّاء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف، ومحمد علي النجّار، القاهرة، الدار المصرية، سنة ١٩٦٦م، ص٢/٣٦٦. وأبو جعفر النحّاس، إعراب القرآن، ص٧٠٠.

المراوحة الدّلاليَّة بين الاستفهام والنَّفْي، فقد حُصِرَ الخَلْقُ في ذاتِ الله جلَّ وعلا، وتلك نعمة عظيمة تستوجبُ الحمد لله الخالق، وتخصيص لفظ الجلالة " الله" بالذِّكْر هنا لبيان توحيد الألوهيَّة للخالق الرزّاق.

ومِنْ مواضع الجملة البيانيَّة "المُفَسِّرَة" للمُفرد "الكلمة" أنْ تكون الكلمة المُراد تفسيرها محذوفة تُقَدَّر من خلال السِّياق، اعتمادًا على القرائن الموجودة، ولوجود دليل يدلُّ عليها، وتلك خَصيصة من الخصائص التركيبيَّة للجملة البيانيَّة، حيث نجد استخدام طريقة الحذف والتقدير في التعبير عن المُراد، قال تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[1] مِن اللافت للنظر في هذه الآية الكريمة خصوصيَّةُ التركيبِ فيها لفظًا ومعنًى، ففاعل الفعل "بدا" محذوف عند جمهور النحاة، إلا مَنْ أجاز أنْ تكون جملة "لَيَسْجُنُنَّهُ" فاعلا للفعل "بَدا"؛ ولكنّني أرى أنَّ الفاعِلَ محذوفٌ يُفسِّرُه جملة "ليَسْجُنُنَّهُ"، فالفاعِل المحذوف هو الكلمة المُراد تفسيرها وبيانها أو المُرَكَّب الأوَّل، ويُقَدَّر مِنْ خلال العلاقة بين الفعل "بَدَا" والجملة البيانيَّة "المُفَسِّرَة" له، لدلالتها عليه، وهي جملة "لَيَسْجُنُنَّهُ" كما ذكرتُ آنفًا، وتقدير الكلام "بَدا لهم بَدَاءٌ مِنْ بعد ما رأوا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حينٍ"، وأيضًا هي مصدرٌ للفِعل الماضي المذكور "بَدا" يدلُّ على الحدَثِ المهِمّ في سياق الحال، فما البَدَاء الذي ظهر لهم؟ وتفسير ذلك البَدَاء مِنْ خلال جملة "لَيَسْجُنُنَّهُ"، وتحتمل أن تكون جملة إنشائيَّة قَسَمِيَّة،

(١) سورة يوسف ١٢/٣٥.

وتقدير الكلام "واللهِ لَيَسْجُنُنَّهُ"، ومعناها إخبار بسَجْن يوسف عليه السَّلام، يقول أبو حيان الأندلسيّ ت٧٤٥هـ: "والفاعل لـ "بَدا" ضمير يُفسِّره ما يدلّ عليه المعنى، أي: بدا لهم هو، أي: "رَأْي" أو "بَدَاء"...[١].

ويبدو أنَّ أبا حيّان الأندلسيّ ت٧٤٥هـ، وتلميذه السَّمين الحلبيّ ت٧٥٦هـ، متأثران برأي الزمخشريّ ٥٣٨هـ المذكور في تفسير الكشاف، "بَدَا لهم: فاعِلُه مُضْمَرٌ لدلالة ما يُفَسِّره عليه، وهو "لَيَسْجُنُنَّهُ"، والمعنى: بَدا لهم بَداء، أَي: ظَهَرَ لهم رَأْيٌ لَيَسْجُنُنَّهُ"[٢]. وأمّا جملة "لَيَسْجُنُنَّه" فهي لفظًا أسلوب إنشائيّ قَسَميّ، ومَعْنًى.. أسلوب خبريّ، إذ المراد بها تفسير ما ظَهَرَ لهم مِن رَأْي تجاه يوسف عليه السَّلام.

وَثَمة رأي هنا يرى أنَّ "لَيَسْجُنُنَّهُ" في موضع الفاعل للفعل "بدا"، وعزا هذا الرأي أبو جعفر النحاس[٣] ت٣٨٨هـ إلى سيبويه[٤] ت١٨٠هـ وخالفه العكبري ت٦١٦هـ فقال "وليست الجملة فاعلًا، لأنَّ الجُمَل لا

(١) أبو حيان الأندلسيّ، البحر المحيط، القاهرة، مطبعة السعادة، بدون تاريخ، ص٥/٣٠٧، والسمين الحلبي، الدر المصون، تحقيق أحمد محمد الخرّاط، الطبعة الثالثة، دمشق، دار القلم، ٢٠١١م، ص٤/١٨١، وابن هشام، مُغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب، ص٥/٥٥٥.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٢/٣٠٧، وأبو جعفر النحاس، إعراب القرآن ص٤٤٧.

(٣) أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ص٤٤٧.

(٤) سيبويه، الكتاب، ص٣/١١٠.

تكونُ كذلك"[1].

وإنَّـي أرى أنَّ جملـة "لَيَسْـجُنُنَّهُ" جملـةٌ قَسَـميَّةٌ، فَسَّـرَت الفاعِـلَ المحذوف، ليكتملَ أسلوبُ البَيان في الكلام، حيثُ وردت الكلمة المُبهمة المحذوفة "رَأْي – بَدَاء"، وتليها جملة مُفَسِّرَة إنشائيَّة لفظًا، خبريَّة مَعْنًى، فَسَّرَت ما أجمعوا عليه مِنْ رأى ظَهَرَ لهم نحوَ يوسفَ عليهِ السَّلام، وحينئذٍ تكونُ الجملةُ المُشتمِلةُ على الفاعل المحذوف، والجملة "المُفسِّرَة" للمفرد "الكلمة" يُكوِّنانِ تركيبًا مُتَّسِقًا، به خاصيَّة التدرُّج في عرضِ الفكرة ودِقَّة تصويرها.

والرَّابط هنا بين "لَيَسْجُنُنَّهُ"، وبين "بَدَاء – رَأْي" هو رابط داخليّ مَعنويّ يُسْتَنْبَطُ مِن السِّياق اللُّغويّ والمَقامِيّ لهذا الحَدَث، والفعل "بَدَا" بمعنى "ظهر" يَدُلّ على أنَّ الأمرَ بالنسبة لهم كان خَفِيًّا ثمَّ ظهَرَ، فحين ظَهَرَ لهم اتَّخذوا قرارَ السَّجْن ليوسفَ عليه السَّلام، وجاءت الجملة الفعليَّة المُفَسِّرَة فعلُها مُضارع، يدلُّ على الحَدَث المُتَجَدّد. ومِنْ ثَمَّ يكونُ حَذْفُ الفاعلِ هنا مَقْصودًا في التركيب، ثمَّ يتمُّ استدعاءُ تفسيرِ الحدَثِ المُهِمّ بعدَ تشويق المُخاطَب وتنبيهه وتهيئته له، وذلك بذِكْر جملة "لَيَسْجُنُنَّهُ"، بيانًا وتفسيرًا وتوضيحًا وتخصيصًا، وتلك وسيلةٌ مُهِمَّةٌ في تصويرِ الأحداثِ المهِمَّة المقصودة في بناء الجملة العربيّة في القرآن الكريم، إذ يقوم إدراك معنى التركيب هنا على تصوّر المعنى، يقول سيبويه ت١٨٠هـ: "والعباد إنما

(١) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص٢/٧٣٢.

كُلِّموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون"[١].

والرّبْط هنا تمَّ بطريق معنويّ، وهو التماسك والحبك الدّلاليّ بين الكلام باستدعاء المعنى وتخصيصه، فالجملة الأولى مُتعلِّقة بالثانية مِن حيث المعنى، بالإضافة إلى حاجة الجملة الأولى للثانية في التأويل النَّحويّ بطريق الحذف والتقدير، وهذا أيضًا ترابط لفظيّ بينهما.

ومِنْ مُثُل القرآن الكريم التي جاء فيها المفرد "الكلمة" المُراد تفسيرها في جملة بَيَانيَّة قَوْلُهُ جَلَّ وعلا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[٢] قَدَّرَ الزمخشريُّ ت٥٣٨هـ نائبَ فاعِلٍ محذوفًا للفعل "قِيلَ" تقديره "القول–الكلام"، فقال: "وكأنَّه قيل: وإذا قِيلَ لهم هذا القولُ وهذا الكلامُ"[٣]. وذهبَ العكبريّ ت٦١٦هـ إلى أنَّ جملة النَّهي "لا تُفسدوا" بَيَانٌ وتفسيرٌ للمفعولِ القائمِ مَقَامَ الفاعِلِ، وهُوَ المصدرُ "القَوْلُ" المُشْتَقُّ مِن الفِعل المَبْنيّ لما لم يُسَمَّ فاعلُه "قِيلَ"، "والمفعولُ القائم مَقام الفاعِل مَصدرٌ، وهو "القَوْل"، وأُضْمِرَ؛ لأنَّ الجملةَ بعدَه تُفَسِّرُه، والتقدير: "وإذا قِيلَ لهم قَوْلٌ هُوَ لا تُفْسِدوا""[٤]. وأَكَّدَ هذا المذهبَ ابنُ هشام الأنصاريّ ت٧٦١هـ فقال: "وجملةُ النَّهْي مُفَسِّرةٌ لذلك المُضْمَر"[٥]. فنجد

(١) سيبويه، الكتاب، ص١/٣٣٠.

(٢) سورة البقرة ٢/١١.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١/٧١.

(٤) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص١/٢٨.

(٥) ابن هشام، مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص٥/١١٩، وانظر: أبو السعود، تفسير =

أنَّ الجملة البيانيَّة المُفَسِّرَة جاءت إنشائيَّة، نوعها نهي، تحكي وتُفسِّر القَولَ المُهِمّ، لأنَّ النَّهي قَوْلٌ، وكذلك الأمرُ قولٌ، والرَّبْط هنا داخليّ معنويّ بين الكلام.

ومِنْ مُثُل القرآن الكريم التي جاء فيها المفرد "الكلمة" المُراد تفسيرها في جملة بَيَانيَّة قَوْلُهُ جَلَّ وعلا ﴿وإذا قِيلَ لَهُمْ آمِنوا كَما آمَنَ النَّاسُ قالوا أنُؤْمِنُ كما آمَنَ السُّفهاء﴾[1]. قَدَّرَ العكبريّ ت ٦١٦هـ نائبَ فاعِلٍ مَحذوفًا للفعل "قِيلَ" تقديره "القول"، فقال: " قوله تعالى ﴿وإذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا﴾: القائم مَقام المَفعول هو القَوْل، ويُفَسِّره "آمِنوا"، لأنَّ الأمرَ والنَّهْيَ قَوْلٌ "[2].

ويستبينُ لنا مِمّا سَلَفَ ذِكْرُه أنَّه مِن الخصائص المائزة للجملة البيانيَّة في القرآن الكريم، مَجيئها ـ أحيانًا ـ جملة تفسيريَّة لفاعِلٍ مَحذوف، يُقدَّر مِن لفظ الفعل المذكور.

كما نلحظ أيضًا أنَّ الجملة المُفَسِّرة هنا جاء إنشائيَّة، سواء كانت إفصاحيَّة قَسَميَّة أم طلبيَّة، نوعُها نهيٌ أو أمرٌ، فكلاهما قَوْلٌ كما ذكرَ ذلك العكبريّ ت ٦١٦هـ، والرَّابط هنا بين الرُّكنينِ المُفَسَّر والمُفَسِّر داخليّ معنويّ، وهو التصوّر والاستدعاء الذّهني، فحذف الفاعل يستدعي هنا

= أبي السعود، الطبعة الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٠م، ص١/٤٣.

(١) سورة البقرة ٢/ ١٣.

(٢) العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن، ص ١/٣٠.

تصوّرًا لتقديره وتفسيره معًا، وبناء على ذلك نجد أنَّ " المعنى حاكمٌ على اللفظ "[١].

ومِن الأمثلة التي جاء فيها "المُرَكَّب الأوَّل" المفرد "الكلمة" المُراد بيانها مفعولا به مَحْذوفًا وقُدِّرَ مِن خلال السِّياق، وفُسِّرَ بجملة اسميَّة "المُرَكَّب الثاني"، قوله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢] موضع الشاهد هنا: "وعدَ اللهُ الذينَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحات" جملة بها كلمة محذوفة مُقدَّرة، وهي "خيرًا"، وموقعها الإعرابيّ مفعول به ثانٍ للفعل "وعدَ"، والجملة الثانية المُفَسِّرَة "لهم مَغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ" تقوم هنا بوظيفتينِ اثنتينِ: الأولى ـ وظيفة تركيبيَّة، وهي الأصل في بناء الجملة، ومِنْ خلاله يكون الحذف والتقدير، والثانية ـ وظيفة دلاليَّة وهي التفسير والبيان، فنجد الفعل "وَعَدَ" يتعدَّى إلى مفعولينِ؛ أولهما مذكورٌ في الآية الكريمة، وهو الاسم الموصول "الذين آمنوا"، وثانيهما مَحْذُوفٌ، يُقَدَّرُ مِنْ خِلال السِّياق، وهو "خَيْرًا"، فيكون تقدير الكلام "وَعَدَ اللهُ الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ خيرًا، لهم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظيمٌ". يقول العكبريّ ت٦١٦هـ: "وتقدير الكلام: وعَدَ اللهُ الذينَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحات "خَيْرًا"، لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ. "وَعَدَ": يتعدَّى إلى مفعولينِ... الأوَّل هنا– "الذين آمنوا"، والثاني مَحْذُوف، استُغْني عنه بالجملة التي هي

(١) ابن يعيش، شرح المُفَصَّل في صَنْعَة الإعراب، ص ٢٦٨/١.

(٢) سورة المائدة ٩/٥.

قوله "لهم مَغْفرة". ولا موضع لها مِن الإعراب"[1]. ونلحظ فيما سبقَ ذِكْرُه هنا أنَّ الجملةَ المُفَسِّرةَ الكاشفةَ جاءت اسميَّةً تخلو مِن الزَّمان، وتدلُّ على الثبات والاستمرار والاستقرار، فَوَعْدُ اللهِ دائمًا ثابتٌ لا يتغيَّر، لذا آثرَ القرآنُ الكريمُ التعبيرَ عن وَعْدِ اللهِ للمؤمنين بجملةٍ اسميَّةٍ، ليُدخلَ اليقين والاطمئنان والسَّكينة في قلوب المؤمنين، حَثًّا وحضًّا على الإيمان بالله وعَمَل الصَّالحات الباقيات، وبَيانًا للخير الذي وعَدَه للمؤمنين، كما نلحظ أنَّ كلمة "خيرًا" الواقعة في الجملة الأولى نكرة تدلّ على العموم، فتحتاج إلى تخصيصها، فهي الكلمة المركزيَّة في الجملتينِ الأولى والثانية، أو في التركيب البيانيّ هنا.

فالمفعول به المحذوف "خيرًا"، تمَّ تقديره اعتمادًا على الجملة المُفَسِّرَة، ويُمَثِّلُ المفعول به مركز الاهتمام والعناية في التركيب، بالنسبة للفعل الماضي الدالّ على تحقيق الوعد مِن الله للمؤمنين.

والوقفُ في ﴿وعملوا الصالحات﴾ وقف غير تامّ عند أبي بكر الأنباريّ ت ٣٢٨هـ، لأن قوله ﴿لهم مغفرة﴾ هو الكلام المحكي وتأويل القول[2]، وأضاف الأشمونيّ ت ١١٠٠هـ تعليقًا على الوقف هنا، فقال: "ثمَّ فَسَّرَ الوعدَ بقوله ﴿لهم مغفرة﴾[3].

وذلك لنتأمَّل المفعول به المحذوف المُقَدَّر بـ "خيرًا"، ثمَّ نستأنف

(١) العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن، ص١/٤٢٥.

(٢) انظر: أبو بكر الأنباريّ، إيضاح الوقف والابتدا، ص ٢/ ٦١٢.

(٣) انظر: الأشموني، منار الهدى في الوقف والابتداء، ص ١/١٣٩.

الكلام بالجملة البيانيَّة التفسيريَّة " لهم مَغْفِرَةٌ وأجرٌ عظيمٌ "، فهي جملة كاشفة للخير الذي وعَدَه اللهُ للمؤمنين، كما أنَّ الرَّبْط بين الجملة السابقة "المـُفَسَّرة" المـُتَضَمَّنة المفعول به المحذوف، والجملة اللاحقة "البيانيَّة" المـُفَسِّرة، تمَّ بشيئَيْنِ: الأوَّل ـ مَذكور مَلفوظ، وهو الضمير الغائب المتَّصل "لهم"، والثاني ـ داخليّ معنويّ مفهوم مِن معنى الكلام، وحَذْفُ العاطف بين الجملتين السابقة واللاحقة دليل على قُوَّة الرّابط المعنويّ الدّاخليّ بينهما، وليُشارك المـُخاطَب في استنباط ذلك مِن خلال استدعاء المعنى المـُنتظر المقصود، فضلاً عن أهمية مظهر تَغَيُّر الدّلالة بالانتقال مِن العامّ "خيرًا" إلى الخاصّ "لهم مغفرة"، وذلك تخصيص دلاليّ يؤدّي أيضًا وظيفة الرَّبط المعنويّ داخل الكلام. كما أَنَّني أري أنَّ النّبْر والتنغيم لجملة "لهم مغفرة وأجرٌ عظيم" يُساعد في إيضاح المعنى المقصود بالإسماع والتوكيد والبيان.

وبهذا البيان يتَّضحُ أنَّ جملة "لهم مَغفرة وأجرٌ عظيمٌ" لها وظيفة تركيبيَّة، حيث تقوم مَقام الأصل في الحذف والتقدير، ووظيفة دلاليَّة وهي البَيان والتفسير.

وثمَّة وظيفةٌ صوتيَّةٌ لهذه الجملة المُفَسِّرَة" لهم مغفرة وأجر عظيم"، وذلك مِن خلال التنغيم لها، فاللغة العربيَّة مِن اللغات التنغيميَّة التي "يعملُ فيها التنغيمُ على مستوى العبارة والجملة... وهكذا يُفَرَّقُ بين معنى الجملة... إذا ما نُطقت بتنغيمٍ هابط، لتدلَّ على التقرير، أو بنغمة صاعدة

لتدلَّ على الاستفهام"[1]. كما أنّ نمط التنوعات الصوتيَّة التنغيميَّة في سُلَّم التردد في اللغة العربيَّة، يشتمل على " ثلاثة مستويات: مُنخفض low**، ومُتوسّط** mid **، وعال** high**، تمثّل بواسطتها الأنماط والتنوعات التنغيميَّة على اختلافها"[2].**

ومِمّا سلَفَ ذكره أرى أنَّ الوقف و التنغيم هنا يؤدّيانِ وظيفة نحويَّة وصوتيَّة ودلاليَّة، إذ يميّزانِ بين التراكيب، حين يكون المستوى التنغيميّ عاليًا، ليدلَّ ذلك على البَيان والتفسير، فنستشعر الفوز بعظيم الأجر والثواب مِن الله.

(١) سعد مصلوح، دراسة السَّمع والكلام، ط ١، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٠م، ص ٢٢٢.

(٢) سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

المبحث الثالث: الجُملة البيانيَّة "المُفَسِّرة" لجملة قبلها

مِنْ أنواعِ الجملةِ البيانيَّةِ في القرآنِ الكريم الجُمْلَةُ المُبَيِّنَةُ "المُفَسِّرَة" لجملةٍ قبلها، وقد تكون الجملة المُفَسَّرة كاملة الأركان أو محذوفًا أحدُ أركانها، سواءٌ كان هذا المحذوفُ عُمدةً أو فضلةً، وحينئذٍ تقومُ الجملة المُفَسِّرَة مَقام الأصل في تقدير المحذوف وبيانه، وهذا النوع يندرج تحته صورٌ وأنماطٌ تركيبيَّة مُتنوِّعة، وفقًا للقصد والحاجة إلى الإبانة عنه بطرق مختلفة، للوصول إلى المعنى المُراد مِن التركيب، وطالما يكون الرَّبْط بين الجُمل داخليًّا معنويًّا، وأيضًا لا يُوجد عاطف بين الجملتينِ المُفَسَّرَة والمُفَسِّرَة، وذلك لأنَّ الجملةَ المُفَسِّرَةَ والجملة التي قبلها "المُفَسَّرَة" كالجملة الواحدة، فلا يوجد عاطف مذكور بينهما، ومِن هنا يمكن أنْ نعدَّهما جملةً واحدةً، المسند إليه فيها هو الجملة الأولى "المُفَسَّرَة" أو "المُرَكَّب الأوَّل"، والمُسندُ هو الجملة الثانية "المُفَسِّرة" أو "المُرَكَّب الثاني"، فذاك تقسيمٌ تركيبيٌّ تحليليٌّ افتراضيٌّ للمُقاربةِ بينَ عُنصري التركيب، فكأنَّ الجملة السابقة "محمول"، والجملة اللاحقة "موضوع"، على حدّ تعبير المناطقة، ومِن الأدلة على ذلك الاتّصال الدّلاليّ بين الجملتينِ، وجود سبب لهذا الإيضاح في الجملة اللاحقة لداعي الحاجة إلى الجملة الثانية، ولِعلَّة وجود الإجمال أو الإبهام أو العموم... في الجملة الأولى السابقة "المُفَسَّرة".

ومِنْ صُور و"أنماط" الجملة البيانيَّة في القرآن الكريم أنْ تأتي الجملتانِ بصيغة الفعلِ الدالِّ على الحدَثِ والزَّمانِ بصيغة الماضي

والمضارع، لكنَّ الاختلافَ يكون في الدّلالة المعجميَّة والسِّياقيَّة للفعل والتركيب، فالأول "المُفَسَّر" قد يكون فيه إبهامٌ وعمومٌ مقصودانِ كجزءٍ مُهِمٍّ مِن المعنى، للتشويقِ والإثارة والتهيئة والتنبيه والعناية والاهتمام، وأيضًا استدعاء للجملة الثانية المُفَسِّرَة، وأمّا الثاني "المُفَسِّر" فقد يكون فيه بيانٌ وإيضاحٌ وتخصيصٌ وتصويرٌ للفكرة واستجابة للاستدعاء، فالجملتانِ كالمُثير والاستجابة، فالمُركَّب الأوَّل يستثير الفكرة والمعنى، والمركَّب الثاني يستجيب لهذا المُثير فيُبَيِّن الغموض ويُوضِّح الإبهام ويكشف اللَّبْس ويُخصّص العامّ، ليكونَ الكلامُ أوقعَ في النَّفْس، مع قُوَّة الحُجَّة في التأثير للإقناع والإمتاع، فيتمُّ التواصلُ البيانيُّ الجماليُّ الذي تتميَّزُ به الجملة العربيَّة في القرآن الكريم.

وفيما يأتي نُوردُ بعضَ الأمثلة القرآنيَّة التي تُبَيِّنُ لنا بعضَ ما نَتَغَيَّاهُ مِنْ وراءِ هذا البحث، أملاً في رصد هذه الجملة ووصفها وتشخيصها، وتحليلها، ومحاولة تفسيرها، وبيان بعض خصائصها ووسائلها وأغراضها. فمِمّا جاء فيه الجملتانِ المُفَسَّرَة والمُفَسِّرَة فعلينِ ماضيينِ في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] وردت الجملةُ المُفَسِّرَة الثانية في هذه الآية الكريمة بصيغة الفعل الماضي، وبلفظ الفعل "قال"، وهي جملة "قال إنّي جاعلك للناس إمامًا"، وأمَّا الجملة المُفَسَّرَة الأولى فهي أيضًا بصيغة

(١) سورة البقرة ١٢٤/٢.

الماضي، وهي "ابتلى إبراهيمَ رَبُّهُ بكلماتٍ"، حيث بَيَّنَت جملة "قال إنِّي جاعلك للناس إمامًا" المُرادَ مِن الابتلاء ونوعه وما تلك الكلمات؟ "ابتلى إبراهيمَ رَبُّه بكلماتٍ"، يقول الزمخشريّ ت ٥٣٨هـ: "قال إني جاعلكَ للناس إماما... يجوز أن يكون بَيَانًا لقوله "ابتلى" وتفسيرًا له، فَيُراد بالكلمات ما ذكره مِن الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده"[١]. فمضمونُ الجملة الأولى الابتلاء بكلمات فيه تعميم وإبهام للتشويق وشَحْذ الذِّهْن لدى المُخاطَب، فهو المُثير للكلام الذي يستدعي استجابة له مِنْ خلال الجملة الثانية، التي تقوم بوظيفةِ بيانِ المُرادِ بالكلماتِ كالإمامةِ وتطهيرِ البيت، كما أنَّ الجملة المُفَسَّرة فيها تَعَلُّق مِن حيث المعنى بالجملة المُفَسِّرَة، فالرَّبْط بينهما معنويّ، فالجملتانِ تحكيانِ حَدَثًا مُهِمًّا مَضى في عهدِ إبراهيمَ عليه السَّلام، ليكون ذلك عِبْرةً وموعظةً لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقد جاءَت الجملةُ المُفَسِّرَةُ جملةَ قَوْلٍ بصيغة المضارع، مُبَيِّنةً "مُفَسِّرَةً" للجملة السابقة عليها "المُفَسَّرَة" الواردة أيضًا بصيغة المضارع، فبذلك تكونُ الجملتانِ مُتَّفقتينِ في الزَّمانِ الحاضر المستمرّ، نحو قوله عزَّ وجلَّ ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[٢] جاءت الجملةُ

(١) الزمخشري، الكشاف، ص١/١٨٣.

(٢) سورة الأحزاب، ١٣/٣٣.

المُفَسِّرَةُ جملةُ القَوْلِ في الآية الكريمة فعلًا مُضارعًا، وهي جملة "يقولون"، ومَقُولُ القَوْلِ مُصَدَّرٌ بـ "إنَّ"، لشعورهم بأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ غيرُ مُصَدِّقٍ لكلامهم "إنَّ بُيوتنا عَورة"، وفي ذلك بَيانٌ لما قالوه لِلنَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حينَ دعا داعي الجهادَ في غزوة الأحزاب؛ رغبة في الفرار من المواجهة مع المشركين. وأمَّا الجملة الأولى المُفَسَّرَة فقد وردتْ أيضًا فِعْلًا مُضارعًا، وهي "ويستأذنُ فريقٌ منهم النَّبيَّ"، والرّابط بين الجملة "المُفَسِّرة" والجملة "المُفَسَّرَة" رابطٌ معنويٌّ داخليٌّ، فهما –في رأيي– كأنَّهما جملة واحدة مُرَكَّبة مُمْتدَّة، كما أنَّ التعبير بالفعل "يستأذن" يكشف حِيَلَهم الكلاميَّة، فالمنافق يُجيدُ التعبير عن موقفه بأساليبَ كلاميَّةٍ تبدو مُقنعةً، ثمَّ كشفَ القرآنُ الكريمُ عن حقيقة نواياهم بطريق النَّفْي بجملةٍ اسميَّةٍ تدلُّ على شيءٍ ثابتٍ مُستمرّ مُستقرّ، باستخدام أداة النَّفْي "ما" "وما هي بعورة"، فنفى القرآنُ وجودَ العَورة في بُيوتهم، كما استخدمَ القرآنُ طريقَ الحصر والقصر للتوكيد" إنْ يُريدون إلاّ فِرارًا"، فكشفَ قصدَهم الحقيقيَّ، وهو الفِرار مِن مواجهة المشركين، فالمحصور في الجملة هو كلمة "فِرارًا" مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، فقال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[1]. يقول العكبري ت٦١٦هـ: "ويقولون" تفسيرٌ لـ "يستأذن"[2]. فالاستئذان وسيلته قولهم للنبيّ "إنَّ بيوتنا عورة" كمخرجٍ

(١) سورة الأحزاب، ١٣/٣٣.

(٢) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص١٠٥٣/٢، والزمخشريّ، الكشاف، ص =

لكذبهم.

ويستبينُ لنا مِمّا سَلَفَ ذِكْرُه أنَّ للسِّياق المقاميّ هنا دورًا مُهِمًّا في فَهْمِ الحوار بينَ المنافقينَ والرسول، فنتعرَّف لماذا يستأذنون النبيَّ؟ وما مُسَوِّغُهم الكاذبُ؟ وما وسيلتهم وحيلتهم التي لجئوا إليها؟ وما نواياهم الحقيقيَّة نحو الجهاد نصرة للدين؟ فكلُّ هذا يُصَوِّر بدقَّة موقفَ المنافقين.

وبعد ذلك ننتقلُ مِن مجيء الجملةِ المُفَسِّرَة جملة قَوْل، إلى مجيئها جملة غير قَوْليَّة، قال تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1]. نجد في هذه الآية الكريمة مجيء الجملة الثانية المُفَسِّرَة البيانيَّة أو "المُرَكَّب الثاني" فعلًا مُضارعًا معطوفًا عليه فِعْلٌ مُضارعٌ آخر "يُذَبِّحُونَ أبناءَكُمْ ويَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ"، وهذا بيانٌ وكشفٌ وتفسيرٌ للفعل المضارع السابق "يَسُومونكم سُوءَ العذاب"، وهنا يتساءلُ المُخاطَبُ ما نوع العذاب؟ وما حالهم؟ وما الذي سامُوهُمْ إيّاه؟ فهذا أمرٌ عامّ، يستدعي استجابة له، فقد تَمَّ توضيحه وتخصيصه بقوله "يُذَبِّحون". كما نلحظ أنَّ الاستغناء عن أداة العطف بين الجملة الأولى "يسومونكم" والجملة الثانية "يُذَبِّحون" إشارة إلى قُوَّة العَلاقة الدّلاليَّة بينهما، فثَمَّةَ تَعَلُّقٌ معنويٌّ بين المُفَسَّر والمُفَسِّر، لذا يجوز الوقفُ على كلمة "العذاب"، كما يجوز الوصلُ أيضًا،

= ٥٢٧/٣.

(١) سورة البقرة، ٤٩/٢.

وقد عَبَّر الزمخشريّ ت٥٣٨هـ عن العَلاقة بين الجملتينِ فقال: "يُذَبِّحون، بيان لقوله "يسومونكم"، ولذلك تركَ العاطفَ"(١). وجاء الرَّبْط اللفظيّ بين الجملتينِ بالضمير "كم" المخاطَب المُتصل بالمفعول به "أبناءكم"، كما قامَ ضمير الخِطاب هنا بتخصيص المقصودينَ مِن قوله " يسومونكم سوء العذاب"، فهم لا يُذَبِّحون كلَّ النَّاس، ولكنْ يُذَبِّحون الأبناء مِن دون الآباء ويستحيون النساء، وذلك مرتبطٌ بالسِّياق المقاميّ للآية الكريمةِ الكاشفةِ عن موقفِ فرعونَ مِن بني إسرائيلَ.

ومِنْ أبرزِ خصائصِ الجملةِ "المُفَسِّرَة" أنْ تأتي مُفَسِّرةً وكاشفةً لجملةٍ أو لجملتينِ قبلها، مع بيان الترابط بين الجمل، ولا سيما الترابط المعنويّ الداخليّ الخَفِيّ، فيكون هذا الترابط الدّلاليّ أقوى مِن استخدام الرَّبْط اللفظيّ، كأدوات العطف، كما يَفْضُلُ هذا النوعُ مِن الجُمَلِ باستخدامِه التدرُّجَ في عرضِ الفكرة وتصويرها، فالانتقال مِن الإبهام إلى الإيضاح وسيلةُ رَبْطٍ دلاليَّةٌ ومعنويَّةٌ مُهِمَّةٌ، فيها تشويق نفسيّ، وشَحْذٌ للذِّهْنِ والتفكير، واستثارة واستدعاء، ليُشارك المُخاطَب في إبداع الخطاب التواصلي بين المُتكلِّم والمُخاطَب، فتأتي الاستجابة لما سبقَ مِن خلال الجملة المُفَسِّرَة، ومِنْ ثَمَّ أرى أنَّ مِنْ وسائلِ الرَّبْطِ المعنويّ في الكلام الانتقالَ مِن الإبهام إلى الإيضاح؛ ليتركَ أثرًا واضحًا قويًّا لدى المُخاطَب، ولغرض التبيين في القَصْد.

(١) الزمخشريّ، الكشاف، ص١/١٤١.

وقد تأتي الجملة المُفَسِّرة الكاشفة جملتينِ بصيغة الفعل المضارع، وتُفَسِّرُ قبلها جملتينِ شرطيتينِ مُصَدَّرتينِ بالأداة "أمّا" الشرطيَّة التفصيليَّة، وذلك تركيب فريد جدير برصده وتحليله وتفسيره في النَّصِّ القرآنيّ، فمِن الأمثلةِ القرآنيَّةِ التي تُوَضِّحُ ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1] جاءت الجملةُ "المُفَسِّرَةُ" خاليةً مِن العاطف، وكاشفةً ومُفَسِّرَةً للجملةِ التي قبلها، فقد فَسَّرَت الجِملتانِ الفِعليتانِ المضارعتانِ "يُضِلُّ به كثيرًا ويَهدي به كثيرًا"، فسَّرَتا الجملتينِ السابقتينِ الشَّرْطيتينِ "فأما الذين آمنوا... وأما الذين كفروا...".

يقول الزمخشري ت٥٣٨هـ: "وقوله "يُضِلُّ به كثيرًا، وَيَهْدي به كثيرًا" جارٍ مَجْرَى التفسيرِ والبَيَانِ للجُمْلَتَيْنِ المُصَدَّرتينِ بـ "أمّا"، وأنَّ فريقَ العالمينَ بأنَّهُ الحَقُّ وفريق المُستهزئين به كلاهما موصوفٌ بالكثرة، وأنَّ العِلْمَ بكونه حَقًّا مِنْ باب الهُدَى الذي ازدادَ به المؤمنونَ نُورًا إلى نُورهم، وأنَّ الجَهْلَ يَحسُنُ مَوْرِدُه مِنْ باب الضَّلالة"[2]. ومِمّا سبقَ يَتَّضِحُ أنَّ الجملة المُفَسِّرَة البيانية "يُضِلُّ به كثيرًا ويَهْدي به كثيرًا"، كشَفَتْ وبَيَّنَتْ جملة "فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنَّه الحقُّ مِنْ ربِّهم وأمّا الذين كفروا فيقول ماذا أراد الله

(١) سورة البقرة، ٢/٢٦-٢٧.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ص١/١٢٢.

بهذا مثلا".

يَتَّضحُ أنَّ الآية الكريمة نسبت العِلْم بالحقّ للذين آمنوا، وتلك هِدايةٌ مِن اللهِ لهم، تزيدُهم هُدًى، ونسبت الآيةُ الكريمةُ القولَ الباطلَ والضَّلالَ للذينَ كفروا، وهذا النَّمَطُ مِن التركيب النحويّ لكشف المعنى المُراد المُكَوَّنِ مِنْ أربعِ جُمَلٍ، الأُولَيَيْنِ منها مُصدَّرَتَيْنِ بـ "أمّا" أداة شرط وتفصيل، والأُخرَيَيْنِ منها فعلَيْنِ مُضارعَيْنِ يقارنانِ بين صفةِ العِلْم للمؤمنِ، وصفةِ الجهلِ للكافرِ الذي أوصله للضَّلالِ، وتلك مقابلةٌ بين صِنْفَيْنِ مِن النَّاس، مُؤمنينَ وكافرينَ، فذكْر الشيء يستدعي مقابله في الذِّهن، فتتضح الصورة الذّهنيَّة للموقف.

ومِن الملاحظ في الآية الكريمة هنا أنَّ الفعل "يعلمون" مرتبط بـ "الحقّ"، على حين الفعل "يقولون" مرتبط بـ " باطلًا"، لأنَّ الحقَّ عِلمٌ والباطلَ قولٌ، ونتيجة العِلْم الهُدى، على حين نتيجة الباطل الضَّلال.

ومِنْ صورِ الجملةِ المُفَسِّرَةِ البيانيَّةِ وأنماطها في القرآنِ الكريمِ أنْ تأتي اسميَّةً، وما قبلها الجملة المُفَسَّرَة فعليَّةً فِعلُها ماضٍ، مع الاستغناء عن العاطف، اكتفاءً بالرَّبْط الداخليّ المعنويّ بينَ الجملتينِ، فذلك دليلُ اتِّساقِ المعنى وحبكه وانسجامه بينهما، فحذفه للاختصار والإيجاز، ومثال ذلك قوله جلَّ وعلا ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾[1] فجاءت الجملةُ المُفَسِّرَةُ البيانيَّةُ اسميَّةً مُصَدَّرَةً بأداة التوكيد "أنَّ" "أنِّي مَغْلُوبٌ فانتصِرْ"، تدلُّ

(١) سورة القمر، ٥٤/١٠.

الجملة الاسميَّة على حالة ثابتة مُستقِرّة ثمّ تليها جملة "فانتصرْ" فِعْلُ أمرٍ دعائيّ مِن نوحٍ عليه السَّلام لربِّه، يكشف عَمّا قاله في دعائه، إذ الاكتفاء بالجملة الفعليَّة المُفَسَّرَة "دعا"، لا يُوَضِّحُ بأيّ شيءٍ دَعا نوحٌ ربَّهُ، لأنّه عمومٌ، فَعَرْضُ هذه الحالة بتلك الطريقة في قصة نوح مع قومه فيه تَشْوِيقٌ واستثارة وتنبيهٌ واهتمامٌ واعتناء بأهمية الدُّعاء في حياة الأنبياء. وذهبَ العكبريّ[1] ت٦١٦هـ إلى أنَّ الفعل "دعا": بمعنى "قال"، فكأنَّ الجملةَ البيانيَّة مَقُولٌ للقَوْل المُتضمَّن في الفعل الماضي "دعا". كما أنَّ جملة "دعا ربَّهُ"، فيها استدعاء دلاليّ للجملة الكاشفة المُفَسِّرَة "أنّي مغلوبٌ فانتصرْ"، وبعد ذلك كانت نتيجة الدّعَاء ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[2]. ومِمّا سبَقَ يظهرُ لنا أنَّ الجملة الأولى المُفَسَّرَة جاءَتْ في صيغةِ الفعلِ الماضي "دعا"، على حين جاءت الجملة الثانية المُفَسِّرة في صورة جملة اسميَّة، تصفُ لنا حال نوح عليه السَّلام أمام قومه، وفي ذلك تصويرٌ لحال نوحٍ مع قومه، إذ مكثَ فيهم ألف سنة إلاّ خمسينَ، فما آمَنَ معه إلاّ قليلٌ مِنْهُمْ.

ومِنْ فوائدِ الوقفِ في القرآنِ الكريمِ تحوُّلُ التركيب النحويّ مِن تركيبٍ إلى تركيب آخر، فيتولَّدُ عنه تركيبٌ جديدٌ، ومِنْ ثمَّ تتوالدُ المعاني، فيحدثُ ثراءٌ دلاليّ، فتكون الآيةُ الواحدةُ حينئذٍ كأنّها آيتانِ أو أكثر،

(١) انظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص٢/١١٩٣.

(٢) سورة القمر، ٥٤/١١-١٢.

بتعدّد التوجيه اللّغويّ للآية الكريمة الواحدة، وذلك حسب الوقف الموجود في الآية، فقد أدَّى الوقفُ على جُمْلَة "فَعَلَهُ" في قوله تعالى ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾[1] إلى تَغَيُّر تركيب الكلام في الآية الكريمة، فأصبحَ فاعلُ الفعلِ "فَعَلَهُ" مَحْذوفًا، وتقديره: "مَنْ"، فيكون تقدير الجملة الأولى المُفَسَّرَة "بل فَعَلَهُ مَنْ فَعَلَهُ"، وهذا الحذف والتقدير مبنيّ على الجملة المُفَسِّرة، فهي دليل الحذف والتقدير هنا، إذ لا حذفَ إلاّ بدليل، وتصيرُ الجملةُ المُفَسِّرَةُ هي الجملةُ الاسميَّةُ الدّالة على الثبات والاستمرار والاستقرار، وهي جملة "كَبِيرُهُمْ هذا"، فقامت الجملة المُفَسِّرَة بكشف الفاعِل وتخصيص نوعه أو تحديده، وتفسيره، بالإضافة إلى عنصر التشويق والاستثارة والاستدعاء وحثّ المُخاطَب على التفكير، وهذا يُسمّى مفهوم الفضاء الذّهني في الذاكرة، وما يرتبط به مِنْ مفاهيمَ خبيئةٍ، يتمُّ استدعاءُ بعضِها بعضًا، فذِكْر الشيء يستدعي غيره، وتُعَرَّفُ الفضاءاتُ الذّهنيّةُ بأنّها" تجمعات مِن العناصر المُمعنة في الجزئيّة، يجري تركيبها عندما نفكّر، أو نتكلَّم، لتحقيق أغراض تتعلَّق بالفَهم... وترتبط الفضاءات الذهنيّة بمخططاتٍ مِن المعارف المُستكنة في ذهن الإنسان... ويرتبط بعضُها ببعضٍ بضروبٍ مُختلفةٍ مِن الارتباط"[2]. مع الإشارة إلى الحَدَث المُهمّ، وهو تكسيرُ الأصنام، وتلك سُخْرية واستهزاء مِنْ عبادتهم الأصنام

(١) الأنبياء، ٦٣/٢١.

(٢) سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد، أوراق بينية، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠١٧م، ص ٢٦٠.

التي لا تنطقُ ولا تنفعُ ولا تَضُرُّ، لذا خُتمت الآية الكريمة بقوله "فاسألوهم إنْ كانوا ينطقون"، يقول العكبريُّ ت٦١٦هـ: "هذا: وصف، أو بدل. وقيل: الوقف على "فَعَلَهُ"، والفاعل محذوف، أي: فَعَلَهُ مَنْ فَعَلَهُ"(١). وقد ذكر الأشموني ت ١١٠٠هـ أنَّ الوقف على " فعله" تامّ، ثمَّ الابتداء بقوله" كبيرهم هذا"(٢).

وبناءً على ما سبقَ يكونُ قصدُ المُتكلِّمِ مُوَجّهًا إلى تحديدِ فاعِل الفِعل "فَعَلَهُ"، فضلًا عن استخدام اسم الإشارة إلى القريب المبدوء بهاء التنبيه "هذا"، والإشارة تكون غالبًا باستخدام اليد، وفي ذلك توظيفٌ للإشاراتِ الجسديَّة في التعبير عن هذا الموقف، بالإضافة إلى دور التنغيم بصوتٍ عالٍ في جملة "كبيرهم هذا" ليعطي دلالة الاستفهام والتوبيخ والإنكار والتبكيت، وهنا يقوم علم الأصوات بوظيفة نحويَّة مُهمّة، وهي الاستغناء عن أداة الاستفهام.

بالإضافة إلى الدّلالة المعجميَّة لكلمة "كبيرهم" فأهل الضَّلال لهم كبيرهم الذي يتبعونه، ومِنْ هنا نلحظُ أهميةَ الوقفِ على "فَعَلَه"، ودور تقدير الفاعِل المحذوف مِنْ خلالِ السِّياق المقاليّ والمقاميّ، وهو "مَنْ" اسم موصول للعاقل، للمبالغة والتعجيب في تصوير الحدث.

وحاصلُ القولِ هنا في هذه الآية الكريمة أنْ يتشابكَ في تركيبها عِدَّةُ

---

(١) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص٩٢١/٢.

(٢) انظر: الأشموني، منار الهدى في الوقف والابتداء، ص ٣٧/٢، وأبو حيان الأندلسيّ، البحر المحيط، ص ٤٤٨/٧، ٤٤٩.

عناصرَ لُغويَّةٍ وغيرِ لُغويَّةٍ في تركيبها ودلالتها، وهي الوقف والحذف والتقدير والتَّنغيم والجملة الفعليَّة والجملة الاسميَّة بالإضافة إلى السِّياق المقاميّ في الخِطاب بين إبراهيمَ عليه السَّلام وقومه، والإشارات الجسديَّة كعنصرٍ غيرِ لُغويّ يُشاركُ في تصوير الحَدَث هنا، وتلك مسألة عَقَديَّة اُستُخْدِمَتْ فيها الجملةُ البيانيَّة في التعبير للإقناع والإمتاع.

ومِنْ وظائفِ الجملةِ المُفَسِّرة لجملةٍ قبلها، التفصيل والبيان للمُجْمَلِ قبلها، وهذا ضَرْبٌ مِن أَضْرُبِ التَّعَلُّقِ المعنويّ في التراكيب النَّحويَّة، وقد يَتَّصلُ هذا التفصيلُ والبيانُ بآياتِ الأحكام الشرعيَّة في القرآن الكريم، كشأن الميراث للأولاد بعدَ وفاةِ الوالدَيْنِ، كلَيْهما أو أَحَدِهما، وقد جاءت الجملةُ المُفَسَّرةُ فعليَّةً، فعلُها مُضارعٌ، على حين جاءت الجملةُ المُفَسِّرَةُ اسميَّةً، وذلك في قوله عزَّ وجلَّ ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾[1] نجدُ أنَّ الجملةَ المُفَسِّرَةَ الكاشفةَ البيانيَّةَ في الآية الكريمة اسميَّةٌ، وهي جملة "للذَّكَر مِثْلُ حَظِّ الأنثيين"، فقد تَقَدَّمَ الخبرُ "للذَّكَر" على المبتدأ "مِثْلُ حَظِّ الأنثيين"، لأنَّ حَظَّهُ ونصيبَهُ في الميراثِ ضُوعِفَ، وأيضًا قَصْد العناية به في الميراث، فهو يَفْضُلُ الأُنْثَى في بعضِ حالاتِ الميراث، وخاصَّةً هذه الحالة، على حين جاءت الجملةُ "المُفَسَّرَة" فِعْلًا مُضارعًا "يُوصيكم اللهُ في أولادكم"، ففيها إجمال، ومعناها: يأمرُكم اللهُ في شأنِ ميراثِ الأولاد، وهذا الإجمال جُزْءٌ مِن

(١) سورة النساء، ٤/١١.

المعنى الذي يستدعي التفصيل مِن خلال الجملة المُفَسِّرة.

ومِن اللافتِ للنظرِ هنا الاستغناءُ عن العاطفِ بينَ الجملتينِ، بالإضافةِ إلى الوقفِ على كلمة " أولادكم"، ثمَّ الابتداء بما يليه، وهو الجملةُ المُفَسِّرَة، وهذا معناه أنَّ العَلاقةَ الواشجةَ الدّلاليَّةَ بينَ الجملتينِ قويَّةٌ ومَسْبوكةٌ حَقًّا، وتلك وسيلةٌ للتفنُّن التركيبيّ في الرَّبْط المعنويّ، ففيه دِقَّةُ بيانٍ، ووَصْلٌ داخليٌّ خَفِيٌّ في القرآن الكريم مِنْ خلال وسيلة الإجمال ثمّ التفصيل، فذلك مِنْ وسائلِ الرَّبْطِ المعنويِّ المُهِمّ في الجملة البيانيَّة في النَّصِّ القرآنيّ.

يقولُ مَكِيُّ بنُ أبي طالبٍ القيسيّ ت٤٣٧هـ: "قوله "للذكرِ مِثلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ" ابتداءٌ وخبرٌ... تبيينٌ للوصيَّة وتفسيرٌ لها"(١). وأضاف الزمخشريُّ ت٥٣٨هـ معنى التفصيل بعد الإجمال، فقال: "وهذا إجمالٌ، تفصيله "للذَّكَر مِثْلُ حَظِّ الأنثيَيْنِ"(٢). كما أنَّ الجملةَ الأُولى "يُوصيكم اللهُ" خبريَّة لفظًا إنشائِيَّة معنًى، فحينَ يقعُ الخبرُ مَوقعَ الطَّلَبِ فذلكَ لِعِلْمِ المُخاطَبِ أنَّكَ لا تُخْبِرُه، وإنَّما تأمرُه.

وقد تقومُ الجملةُ البيانيَّة "المُفسِّرَة" لجملة قبلها بوظيفة دلاليَّة مُهِمَّة وجليلة في التشريع الإسلامِيّ، وهي البيان والتوضيح وإزالة الغموض والإبهام، ودرء الشُّبْهَة في الحُكم الشرعيّ، وبيان القَصْد مِنَ الحُكْم، فقد جاءت الجملةُ الأولى المُفَسَّرَة بصيغةِ الفِعلِ الأمرِ، على حين جاءت

(١) مَكي بن أبي طالب، مُشكل إعراب القرآن، ص١١٦.

(٢) الزمخشريّ، الكشاف، ص١/٤٦٩-٤٧٠.

الجملةُ الثانية المُفَسِّرَة اسميَّةً، قال تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾[1] ففي هذه الآية الكريمة بَيَّنت الجملةُ المُفَسِّرَةُ البيانيَّةُ الحُكمَ الشَّرْعِيَّ في العلاقة بين الزوج وزوجه، والغرضَ مِن تلك العلاقة، مِنْ خلالِ الجملة الاسميَّة "نساؤكم حَرْثٌ لكم"، فهي بيانٌ للجملة الفعليّة الأولى المُفَسَّرَة "فأتوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ"، وقَدْ وقعتِ الجملةُ المُفَسَّرَةُ جوابًا للشَّرْط مُقترنًا بالفاء، كما نلحظُ أيضًا الاستغناء عن العاطف بين الجملتينِ المُفَسَّرَة والمُفَسِّرَة، وذلك يمكنُ أنْ نَعُدَّه اعترافًا حَقًّا بقوَّة التَّعَلُّقِ المَعنويّ بينهما.

ومِنْ هُنا فالعَلاقةُ بين جملة "نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ" وما قبلها "فَأْتُوهُنَّ مِنْ حيثُ أَمَرَكُمُ اللهُ" علاقةُ بيانٍ وتوضيحٍ وإزالةِ الشُّبْهَةِ على حدِّ قول الزمخشريّ ت٥٣٨هـ "فإنْ قُلْتَ: ما موقع قوله "نساؤكم حرثٌ لكم" مِمّا قبله؟ قُلْتُ: موقعه البيان والتوضيح لقوله "فأتوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ"، يَعْني أنَّ المَأْتَى الذي أمركم اللهُ به هو مكانُ الحَرْث، ترجمةً له وتفسيرًا، أو إزالةً للشُّبهة، ودلالة على أنَّ الغرضَ الأصيلَ في الإتيان هو طَلَبُ النَّسْلِ. . . فلا تأتوهُنَّ إلاّ مِنْ المَأْتَى الذي يتعلَّقُ به هذا الغرضُ"[2]. ولا شكَّ أنَّ

(١) سورة البقرة، ٢/٢٢٢-٢٢٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ص١/٢٦٣-٢٦٤.

للسِّياق المقاميّ دورًا مُهِمًّا في فَهْمِ المعنى المُراد هنا، فقد كانَ العربُ في الجاهليَّة "إذا حاضتِ المرأةُ لم يُؤاكلوها، ولم يُشاربوها، ولم يُجالسوها على فَرش، ولم يُساكنوها..."(١).

وروى الإمام مُسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه" أنَّ اليهودَ كانوا إذا حاضت المرأةُ فيهم لم يُؤاكلوها، ولم يُجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ النبيّ فأنزلَ الله تعالى ﴿ويسألونك عن المَحيض قُلْ هو أذى فاعتزلوا النساء في المَحيض﴾"(٢)، فلعلها عادة يهوديَّة الأصل، أخذها عنهم العرب في الجاهلية، فنزلت الآيةُ الكريمةُ لتوضيحَ الحُكمَ الشَّرْعيَّ الإسلاميَّ في علاقة الرجل بزوجه في أثناء الحيض وبعده.

وثَمَّةَ عِلَّة لاختيار الجملة الاسميَّة في وظيفة البيان والإيضاح للأمر، وهي الدّلالة على الثبات والاستمرار على هذا الحُكم، فتكون العِبْرة بعموم اللفظ لا بخصوص السَّبب، كما يقول الفقهاء.

ومِنْ صُوَرِ الجملةِ "المُفَسِّرَة" لجملة قبلها أنْ تكونَ مُصَدَّرةً بأداة نفي يليها فعلٌ ماضٍ ناسخٍ، ولا يُوجد عاطفٌ بينَ الجملتينِ المُفَسَّرَة والمُفَسِّرَة، لأنَّهما كالجملة الواحدة "البيانيَّة"، وأمّا الجملةُ الأُولى "المُفَسَّرة" فهي فعليَّة فعلُها مضارعٌ، قال تعالى﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ

(١) المصدر السابق.

(٢) الإمام مُسلم، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٠٠هـ، ص١/٢٤٦، حديث رقم ٣٠٢.

﴿ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[1] ففي هذه الآية الكريمة جاءت الجملة المُفَسِّرَة البيانيَّة "ما كان لهم الخَيِرَة" مَسْبوقةً بأداة النَّفي "ما"، وبعدها فعلٌ ناقصٌ ناسخٌ "كان"، واسمها "الخَيِرَة" مُؤخَّر، وخبرها "لهم" مُقَدَّم، والزَّمانُ ماضٍ، وهي تفسيرٌ وبيانٌ لجملة "ويختار"، وتلكَ الجملةُ المُفَسَّرَةُ محذوفٌ مَفْعُولُها للعِلْمِ به مِن السِّياق، اعتمادًا على وجود قرينةٍ في الجملة المُفَسِّرَة، فتقدير الكلام "ويختارُ ما يشاؤُه"، فالاسمُ الموصولُ وصلته في محلِّ نَصْبٍ مفعولٍ به للفعلِ المُفَسَّرِ "يختار"، وحينئذٍ تكونُ الجملةُ المُفَسِّرة "ما كانَ لهم الخِيَرَةُ" بها رابطٌ مُقَدَّرٌ محذوفٌ، وهو ضمير الهاء الغائب المفرد المذكَّر، وتقدير الكلام "ما كان لهم فيه الخِيَرَة"، فيعود الضمير "فيه" على الاسمِ الموصولِ المحذوفِ في الجملة الأولى "المُفَسَّرَة"، وذلك تركيبٌ بديعٌ يحتاجُ إلى فَضْلِ تأمُّلٍ وَتَدَبُّرٍ، للكشفِ عن خصائصه التركيبيَّة في الجملتينِ المُفَسَّرَة والمُفَسِّرَة، كما أنَّ العاطفَ بين الجملة السابقة واللاحقة محذوفٌ، استغناء، لعدم الحاجة إليه، بسبب الترابط المعنويّ الداخليّ الموجود بين الجملتينِ، يقول الزمخشريّ ت٥٣٨هـ: "ما كانَ لهم الخِيَرَة، بيانٌ لقوله "ويختار"، لأنَّ معناه: "ويختار ما يشاء"، ولهذا لم يدخل العاطف. . . فإنْ قلتَ: فأينَ الراجعُ مِن الصِّلةِ إلى الموصولِ؟. . . قلتُ: أصلُ الكلام" ما كانَ لهم فيه الخِيَرَةُ"، فحذفَ "فيه"[2]. فهذا المحذوفُ هو الرّابطُ المُقَدَّرُ الذي يقومُ بوظيفة الإحالة إلى سابق، وهو الاسمُ

(١) سورة القصص، ٦٨/٢٨.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ص٤١٣/٣.

الموصول "ما" في الجملة الأولى المُفَسَّرَة.

ومِمّا سبقَ نلحظُ أنَّ تحليلَ الزمخشريّ ت٥٣٨هـ بُني على فكرة الأصل والفرع في تركيب الكلام، فقدَّرَ محذوفًا في الجملة الأولى والثانية، لوجود دليلٍ مِن السِّياق، فلا حذفَ إلاّ بدليلٍ، إذنْ مِنْ أصول التفسير العلميّ للظاهرة اللغويَّة افتراضُ وجودِ أصلٍ، لنبنيَ عليه التغيُّراتِ والتحوُّلاتِ الطارئةَ على التراكيبِ النحويَّةِ في نظامِ الجملة العربيَّة، مع العناية بوسائل الرَّبْط بين الكلمات داخل الجملة الواحدة، وبين الجُمَل، سواءٌ كان الرَّابط مَذكورًا أم محذوفًا، وقد يكونُ الرّابطُ مَعنويًّا داخليًّا، فالألفاظ والجُمَل تتشابك بعضها ببعض دلاليًّا، كما نلحظ أنَّ الجملة المُفَسِّرَة البيانيَّة الكاشفة لما قبلها جاءت أسلوبَ نَفْي في الزَّمان الماضي، دلالةً على طلاقةِ قُدرةِ اللهِ سبحانه وتعالى.

ومِنْ وَظائفِ الجملةِ البيانيَّةِ "المُفَسِّرَة" لجملةٍ قبلها، الانتقالُ الدّلاليّ مِن العامّ إلى الخاصّ، ويمكن أنْ نَعُدَّ ذلك الانتقال الدّلاليّ نوعًا مِنْ أنواع الرَّبْط الداخليّ المعنويّ بين الألفاظ والجُمَل، فوجود هذا النوع مِن الرَّبْط المعنويّ اعترافٌ حَقًّا بقوَّة الصِّلَة بين المُفَسَّر والمُفَسِّر، وقد جاءت الجملة المُفَسِّرَة بطريق الاستفهام الإنكاريّ، ومِنْ هنا تكونُ الجملةُ المُفَسِّرَةُ إنشائيَّةً، وقد يكون ما قبلها جملةً خبريَّةً اسميَّةً، تدلُّ على العموم، والعاطف بينهما محذوف، استغناء عنه، للعَلاقة الوطيدة بينَ الجملتينِ المُفَسَّرَة والمُفَسِّرَة كما ذكرنا آنفًا، وذلك يحققُّ النَّشاط الذِّهْني لدى المُخاطَب، ويقوم بوظيفة المُثير الذي يحتاج إلى استجابة، قال تعالى ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[1]

جاءت الجملةُ المُفَسِّرَة "المُرَكَّب الثاني" إنشائيَّةً في الآية الكريمة "مَنْ ذا الذي يشفعُ عندَه إلا بإذنِهِ" فَبَيَّنَتْ مَلكوتَ اللهِ عزَّ وجلَّ وكبرياءه، فلا يَتكَلَّمُ أحدٌ إلا بإذنِه يومَ القيامة، وأمّا الجملةُ المُفَسَّرَةُ "المُرَكَّب الأوَّل" فهي "له ما في السمواتِ وما في الأرض"، ويرى الزمخشريّ ت ٥٣٨هـ أنَّ "مَنْ ذا الذي يشفعُ عنده" بَيَانٌ لملكوتِ اللهِ وكبريائِه، وأنَّ أحدًا لا يتمالكُ أنْ يتكلَّمَ يومَ القيامةِ إلاّ إذا أُذِنَ له في الكلام... "[2].

وقد تكونُ الجملةُ الثانيةُ المُفَسِّرَةُ إنشائيَةً، نوعُها نُدْبَةٌ للتَّرَثّي، مُبَيِّنَةً نوعَ النِّداء فيما قبلها، وذلك تصويرٌ صوتيٌّ لحال النُّدْبَة نحو قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3] قرأ السُّدِّيُّ وابنُ أبي ليلى "ونادى نوحٌ ابناهْ"[4].

وذهبَ الزمخشريُّ ت٥٣٨هـ إلى أنَّ قراءة "ابناهْ" على التَّرَثِّي والنُّدْبَة، أيْ قال: يا ابناهْ"[5]. وأسلوبُ النُّدْبَةِ هنا بيانٌ وتفسيرٌ لنوعِ النِّداء

(١) سورة البقرة، ٢/٢٥٥.

(٢) الزمخشريّ، الكشاف ١/٢٩٦.

(٣) سورة هود، ١١/٤٢.

(٤) ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٤م، ص١/٣٢٢.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ص٢/٩٩، وانظر: الشِّهاب الخفاجي، حاشية الشهاب على =

في جملة "ونادى نوحٌ" وطريقة الأداء الصوتيّ له المُعَبِّرَة عن الحالةِ النفسيَّةِ للأبِ نحوَ ابنِهِ ساعةَ الطُّوفان.

ومِنَ الجديرِ بالذِّكْرِ هنا أنَّ هذه القراءةَ "ابناهْ" تنقضُ رأي علماءِ النَّحْوِ العربيّ في أسلوب النُّدْبَة، إذ يشترطون في أُسلوب النُّدْبَة وجودَ أداةِ النُّدْبَة "يا" أو "وا"، قبل الاسم المندوب، يقول سيبويه ت١٨٠هـ: "واعلمْ أنَّ المندوبَ لابُدَّ لَهُ مِنْ أنْ يكونَ قبل اسمه "يا" أو "وا".(١)"، وقد خرَّج ابن جنّي ت ٣٩٢هـ هذه القراءة الشّاذّة على الحكاية لا النُّدبة، التزامًا منه بشرط سيبويه في النُّدْبة بأنه لابُدَّ أنْ يكون قبل الاسم المندوب الأداة "يا – وا"، يقول ابن جنّي ت ٣٩٢ هـ: "وهو على الحكاية، قال له: يا ابناه، ولو أراد حقيقة النّدبة لم يكنْ بُدّ مِنْ أحد الحرفينِ: يا ابناهْ، أو وا ابناهْ، كقولك: وا زيداهْ، و يا زيداهْ"(٢).

ومِنْ ثمَّ فهذه القراءة الشَّاذَّة للسُّدِّيّ وابن أبي ليلى "ابناهْ" ـ في

= تفسير البيضاوي، بيروت، دار الكتب، العلمّية، ١٩٩٧م، ص٥/١٠٠. وعبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، الطبعة الأولى، دمشق، دار سعد الدين، سنة ٢٠٠٠م، ٥٩/٤.

(١) سيبويه، الكتاب، ص٢/٢٢٠، والزمخشري، المُفصّل في صنعة الإعراب، ص٩٢، وابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة دار التراث، ١٩٩٨م، ص٣/٢٥٦، العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن، ص ٢/٦٩٩.

(٢) ابن جنّي، المحتسب، ص ١/٣٢٢.

رأيي ـ دليلٌ على جوازِ حَذْفِ أداة النِّداء في أسلوب النُّدْبَة، فالنَّصّ القرآنيّ حاكم على القاعدة النحويَّة، وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مِمّا يحتاج إلى تأويل هنا، فالقراءة الشّاذّة نازعة بالثقة إلى قُرّائها، ويجوز الاستشهادُ بها، يقول عبد القادر البغداديّ ت ١٠٩٣هـ: " أمّا ربُّنا تباركَ وتعالى فكلامُه أفصحُ كلامٍ وأبلغُه، ويجوزُ الاستشهادُ بمتواتره وشاذّه "[(١)].

وقد صَوَّرت الجملةُ المُفَسِّرَة البيانيَّةُ "ابناهْ" الحالة النفسيَّة التي كان فيها نوحٌ عليه السَّلام، كما أنَّ استعمال التنغيم في "ابناهْ" برفع الصَّوت، يكشف عن الحالة النفسية والشعورية لموقف الأب العاطفي نحو ابنه، ثمَّ بعد ذلك قال له ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[(٢)] ومِنْ هنا أرى أنَّ قراءة "ابناهْ" تفسيرٌ لقوله "ونادى نوح"، ومِن الجدير بالذّكر هنا أنَّ المستوى الصوتيّ بطريق التنغيم قام بوظيفة نحويَّة، فأمكن الاستغناء عن أداة النّدبة.

وتقومُ الجملةُ المُفَسِّرَة لجملة قبلها، بوظيفتينِ، الأولى– البَيَان والتَّفْسير والكَشْف عن المعنى، والثانية– الأصل في عمليَّة الحذف والتقدير للعامل المحذوف، وهذا دليل ترابط بين الجملتينِ المُفَسَّرة والمُفَسِّرة، فكأنَّهما جملةٌ واحدةٌ تركيبيًّا ودلاليًّا، فقد جاءت الجملةُ المُفَسَّرَةُ مَذْكورًا مَعْمُولُها "مفعول به" مَحْذُوفًا عامِلُها "الفعل". ومِنْ هنا

(١) عبدالقادر البغداديّ، خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب، تحقيق عبدالسّلام هارون، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٩م، ص ٩/١.

(٢) سورة هود، ٤٢/١١.

تكونُ الجملةُ الثانية البيانيَّةُ مُفَسِّرَةً للجملة الأولى المُفَسَّرَة قبلها، وأصلاً في تقدير المحذوف، وذلك الترابط والحذف والتقدير يتمُّ اعتمادًا على السِّياق اللُّغويِّ للكلام مِن خلال الدليل المذكور في الجملة، وهو الفعل، وذلك نحو قوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[(١)] الجملة المُفَسِّرَة في الآية الكريمة "خَلَقْناه بقَدَرٍ"، فَسَّرَت الجملة السابقة عليها المحذوف منها العامل "الفعل"، وتقدير الكلام في الجملتينِ "إنّا خَلَقْنا كلَّ شيءٍ خَلَقْناه بقَدَر"، وإعراب "كلّ" مفعول به لفعل محذوف تقديره "خَلَقْنا"، والجملة الفعليَّة "خلقنا كلَّ شيءٍ" في محلِّ رَفْع خَبَر لـ "إنَّ". وأمّا الموقعُ الإعرابيُّ للجملةِ البيانيَّة "خَلَقْناه بِقَدَرٍ" "فتكون في موضع رفع، لأنَّها بحَسَبِ ما تُفَسِّره. ومِنْ ذلك ما مَثَّلَ به الشَّلَوْبينُ ت٦٤٥هـ من قوله "زيدٌ الخُبْزَ يأكُلُهُ"، فـ "يأكله" جملة واقعة في محلِّ رفع، لأنَّها مُفَسِّرَةٌ للجملةِ المحذوفةِ، وهي "يأكل" العامل فعلها في "الخبز" النَّصْب، والمحذوفة في محلِّ رفع على الخبريَّة لـ "زيد" والأصل "زيدٌ يأكلُ الخبزَ يأكُلُه"، فكذلك المذكورة لها مَحَلٌّ، بحَسَبِ ما تُفَسِّرُه"[(٢)].

---

(١) سورة القمر، ٥٤/٤٩. وانظر: سيبويه، الكتاب، ١٤٨/١، وابن جنّي، الخصائص، تحقيق محمَّد علي النَّجّار، الطبعة الثانية، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٢م، ص ٥٥٦.

(٢) الشيخ خالد الأزهري، شرح قواعد الإعراب، ص١٠٠-١٠١، وانظر: ابن هشام، مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص١٢٣/٥، وأبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص٤٩٢، والزمخشريّ، الكشاف، ٤٣٠/٤، العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن، ١١٩٦/٢.

وذكر الأشموني ت ١١٠٠هـ أنَّ نصب كلمة "كلّ" هنا على الاشتغال، يقول: "والنصب أولى، لدلالته على عموم الخَلق... والوقف على "بقدر"تامّ"[1].

ومِمّا سبقَ يستبينُ لنا أنَّ الجملتينِ المُفَسَّرة والمُفَسِّرة كأنّهما جملة واحدة لفظًا وتقديرًا ودلالة، فهي عندي جملة مُركَّبة مُمتدَّة، وأرى أنَّ الحذفِ في الجملة الأولى وقعَ لخمسة أغراض: الأول – العناية بالمفعول به المذكور، فهو الأهمُّ في التركيب فيحتاج إلى فضل بيان. والثاني– عدم التكرار للفعل "خلق"، فاللغة العربيَّة تحرص على الإيجاز والاختصار. والثالث ـ دلالة العموم للخَلْق وتوكيد الحدَث أو الفعل. والرابع ـ قامت الجملة الثانية " خلقناه" بوظيفة التفسير للجملةِ الأولى المحذوفِ فِعْلُها "عاملها". كما أنَّ العاطف بين الجملتين محذوف، لعدم الحاجة إليه، ولقوَّة العلاقة الدّلاليَّة بين الجملة المُفَسِّرَة والمُفَسَّرَة. والخامس ـ إنَّ هذا النمطَ أو النوعَ مِن التركيب في الجملة المُفَسِّرَة البيانيَّة لجملة قبلها مَحْذُوفٌ عامِلُها، له خصوصيَّة دلاليَّة، وهي أنَّ المعنى لا يحدث له انتقال مِن العام إلى الخاصّ، أو مِن الإبهام إلى الوضوح، ولكن يحدث له لفت الانتباه لدى المُخاطَب إلى المعمول المذكور في الجملة الأولى المُفَسَّرَة. فهو بؤرة الشعور والتركيز، ففي الجملة الأولى يُذكر على هيئة اسمٍ ظاهرٍ، وفي الجملة الثانية يُذكر على هيئة ضمير مُتَّصِل يربط بين الجملتينِ، فتتمُّ

(١) انظر: الأشموني، منار الهدى في الوقف والابتداء، ص٣٠٨/٢، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ٤٨/١٠.

الإحالة إلى سابق، وذلك دليل سَبْك في الكلام، وقد حُذِفَ الفعلُ وفاعلُه " خَلَقنا" في المرة الأولى، وذُكِرَ في المرة الثانية اختصارًا وإيجازًا.

ومِنْ مُثُلِ ذلكَ النَّمَطِ التركيبيّ المائزِ للجملةِ البيانيَّة في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[١] وردت الجملة الفعليَّة "آتيناه" مُفَسِّرَة للمحذوف مِن الجملة الأولى "المُفَسَّرَة" "ولوطا"[٢]، وتقدير الكلام بناءً على الأصلِ في تركيب الجملة "وآتينا لوطًا آتيناه حُكمًا وعِلْمًا"، إذنْ "لوطًا" هنا هُوَ مَناطُ العِنايةِ والاهتمامِ في الجملتينِ المُفَسَّرةِ والمُفَسِّرةِ.

ومِنَ الأمثلةِ التي تُوَضِّحُ هذا النَّمَطَ التركيبيَّ الفريدَ مِنْ أنماطِ الجملةِ المُفَسِّرَة لجملةٍ قبلها، مَحْذُوفًا عاملُها، ونقدِّرُه بناءً على الأصلِ المذكور في الجملة المُفَسِّرة الكاشفة، قوله تعالى ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾[٣] تعَدَّدَ التوجيهُ النحويُّ والدّلاليُّ لـ "أفغيرَ اللهِ"، وأمّا التوجيهُ المقبولُ عندي فهو أنْ يكون "منصوبًا بفعلٍ محذوفٍ، أي: أفتلزموني غَيْرَ اللهِ، وفَسَّرَه ما بعده"[٤]. وأُشيرُ إلى أنَّ كُتُبَ النَّحْو العربيّ ـ قديمًا وحديثًا ـ درست هذا النَّمط مِن الجملة في باب " الاشتغال"، ولكنَّني أرى أنَّ الأولى به أنْ يُدْرَسَ في باب "الجملة البيانيَّة". والأمثلة القرآنيَّة على هذا النَّمَطِ التركيبيّ مِن

(١) سورة الأنبياء، ٧٤/٢١.

(٢) انظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص٩٢٢/٢.

(٣) سورة الزُّمَر ٦٤/٣٩.

(٤) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص١١١٣/٢، وانظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ص٧٧٠. ومَكي بن أبي طالب، مُشكل إعراب القرآن، ص٤١٦.

الكثرةِ بمكانٍ، ولكنيّ أجتزئ بما تَمَّ ذِكْرُه.

ومِنْ صُورِ "أنماط" الجملةِ المُفَسِّرَةِ لجملةٍ قبلها، أنْ تكونَ الجملةُ جوابًا وبيانًا عن سُؤَالٍ محذوف، يُقَدَّر مِنْ خلال السِّياق، وهو ما أطلقَ عليه علماءُ البلاغةِ العربُ القدماءُ الاستئنافَ البيانيَّ، وهذا النوع مِن الجملة يقومُ بوظيفة البَيَان والرَّبْط "السَّبك" معًا، يقول الخطيب القزوينيّ ت٧٣٩هـ: " أمّا كونها بمنزلة المُتَّصلة بها فلكونها جوابًا عن سؤالٍ اقتضته الأولى، فتنزل منزلته"(١).

وذهبَ الزمخشريُّ ت٥٣٨هـ إلى أنَّ الاستغناءَ عن العاطف في الكلام أو الرَّابط، دليل على قُوَّة الاتصال بين الكلام، وعَّد ذلك وصلاً خَفِيًّا فيه تَفَنُّنٌ بلاغيٌّ، "فإنْ قلت: أيُّ فرقٍ بينَ إدخالِ الفاءِ ونزعِها في "سوف تعلمون"؟... ونزعُها وَصْلٌ خَفِيٌّ تقديريٌّ بالاستفهام الذي هو جوابٌ لسؤالٍ مُقَدَّرٍ... وأقوى الوَصْلَيْنِ وأبلغُهما الاستئناف"(٢).

ومِنْ هنا تقومُ الجملةُ المُفَسِّرةُ حين تكون جوابًا عن سُؤال محذوفٍ مُقَدَّرٍ، تقوم بالكشف عن الخطاب والحِجاج بين المتُكلِّم والمُخاطَب، وتلك وظيفةٌ دلاليَّةٌ مُهِمَّةٌ جديرةٌ ببيانها، والعناية بها، للاستفادة منها في فَهْم مَعنى الكلام، فالعربُ تتفنَّنُ في تَنَوُّعِ أساليبِ كلامِها، لإبرازِ ما هُمْ به أَعْنَى وأَهَمُّ.

---

(١) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص٣/٩٧.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ص٢/٤٠٨.

ومِنْ هنا أرى أنَّ الاستئنافَ البيانيَّ صورةٌ (نوعٌ) مِنْ صُور (أنواع) الجملة البيانيّة، فعلاقة البَيان بين السؤال المُقدَّر وجوابه علاقة معنويَّة ظاهرة ووطيدة، ولا تحتاج إلى رابط ملفوظ، لقوَّة الصلة المعنويَّة بين السؤال وجوابه، وهي صلة الاستدعاء ودور المُخاطَب في تقدير الكلام.

ولبيانِ ذلك نُوردُ بعضَ الأمثلةِ القرآنيَّة، قال تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] الجملة المُفَسِّرَة البيانيَّة في الآية الكريمة "ما سَبَقكم بها مِنْ أحدٍ مِن العالَمين"، وهي مُبيِّنةٌ ومُفَسِّرَةٌ بطريق النَّفي بالأداة "ما"، بأنَّه لم يسبقهم أحدٌ بالإقدام على فعلِ هذه الفاحشة، تقبيحًا للحَدَث، ولمن قامَ به، وهذه الجملة المُفَسِّرَة جوابٌ عن سؤالٍ مُقَدَّرٍ مِنْ سياق الكلام اللغويّ والمقاميّ"كأنَّ قائلًا قال: لِمَ كانَتْ فاحشةً؟ فقيلَ له: لأنَّ أحدًا قبلهم لم يُقْدِمْ عليها اشمئزازًا منها في طباعهم لإفراط قُبْحِها، حَتَّى أَقْدَمَ عليها قومُ لوط"[2] فطريقة السؤال والجواب تُعدُّ مِنْ وسائل الرَّبط والحِجاج بين الجُمَل، فكأنَّ السؤالَ المُقَدَّرَ وجوابَهُ الذي هو الجملة البيانيَّة بمنزلة شيءٍ واحدٍ، أو جملة واحدة. كما أنَّ استعمالَ كلمة "أحد" في سياقِ النَّفي معناها "إنسان"، على حين يكون معناها "واحد" في سياق الإثبات، يقول الشّهاب الخفاجي ت١٠٦٩هـ "وهو أنَّ أحدًا في النَّفي معناه إنسان بإجماع أهل

(١) سورة العنكبوت، ٢٨/٢٩.

(٢) الزمخشريّ، الكشاف، ٤٣٧/٣.

اللغة"[(١)]. إذن كلمة "أحد" المنفية هنا تُفيد استغراق الجنس، ومعناها "إنسان"، كما أُكِّدَتْ بحرف الجرّ الصِّلَة " الزائد" وهو "مِنْ"، مُبالغةً وتبليغًا في النَّفي وتعجيبًا وتوكيدًا له.

ومِنْ أنماطِ الجملةِ المُفَسِّرَة "الاستئنافيَّة" لجملةٍ قبلها مُقَدَّرةٍ بسؤالٍ محذوفٍ، أنْ تكونَ الجملةُ المُفَسِّرَة خبريَّةً لفظًا إنشائيَّة طلبيَّة مَعْنًى، للمُبالغة والتبليغ في الحَدَث، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[(٢)] الجملة ا المُفَسِّرَة الاستئنافيَّة في الآية الكريمة هي "تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم"، وهي بمعنى الطَّلب، فالكلامُ هنا محمولٌ على معناه لا لفظه، فالمعنى هو "آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا في سبيل الله..."، وهي جوابٌ عن سؤالٍ مُقَدَّرٍ محذوفٍ "كأنَّهم قالوا: كيفَ نعملُ؟ فقال لهم: "تُؤمنون بالله"، وهو خبرٌ ومعناه الطَّلَب"[(٣)]. وقد استدلَّ مكيُّ بنُ أبي طالبٍ القيسيّ ت٤٣٧هـ على أنَّ "تُؤمنون" لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، كأنَّه قال: آمنوا... فهو محمولٌ على المعنى، ودلَّ على ذلك أنَّ في حرف عبد الله: "آمنوا" على الأمر.[(٤)]" فقراءة عبد الله بن

---

(١) الشِّهاب الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ص٤٨٣/٧.

(٢) سورة الصف، ١٠/٦١.

(٣) ابن هشام، مُغني اللبيب عن كُتب الأعاريب، ص١٠٨/٥-١٩٠، والشيخ خالد الأزهريّ، شرح قواعد الإعراب، ص٩٨.

(٤) مَكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، ص٤٨٤، وانظر: الزمخشري، =

مسعود ت٣٥هـ "آمنوا" تُؤَكِّدُ صحة حَمْل الكلام على معناه هنا، فالقراءاتُ القرآنيَّةُ يُفَسِّرُ بعضُها بعضًا.

وقد تأتي الجملةُ المُفَسِّرَةُ المُستأنفةُ بصيغةِ القولِ الذي هو جوابٌ عن سؤالٍ محذوفٍ مُقَدَّرٍ يتضمَّنُ أيضًا لفظَ القولِ نحو قوله عزَّ وجلَّ ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾[1] ذهب ابن هِشام الأنصاريّ ت٧٦١هـ إلى أنَّ جملة القول الثانية في هذه الآية الكريمة "سلامٌ قومٌ مُنكرون" هي جواب عن سؤالٍ محذوفٍ مُقَدَّرٍ، تقديره "فماذا قال لهم؟... وفي قوله تعالى "سلامٌ قومٌ مُنكرون" جُملتانِ حُذِفَ خبرُ الأولى، ومُبتدأ الثانية، إذ التقدير: "سلامٌ عليكم، أنتم قومٌ مُنكرون"[2]. والحذف والتقدير هنا يقومُ على السّياق المقاميّ مِنْ خلالِ الظروفِ المُحيطةِ بالحوار بينَ الملائكةِ وإبراهيمَ عليه السَّلام.

وذكر الأشموني ت ١١٠٠هـ أنَّ الوقفَ على " سلامًا" حَسَن، ومثله "سلامٌ" يقول: "فقالوا سلامًا" حَسَن، ومثله "قال سلامٌ"، ثمَّ تبتدئ: قومٌ مُنكرون، أي أنتم قومٌ مُنكرون"[3].

= الكشاف ص ٥١٤/٤، وأبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط، ص٢٦٣/٨، والسمين الحلبي، الدر المصون، ص ٣١٩/١٠.

(١) سورة الذاريات، ٢٤/٥١-٢٥.

(٢) ابن هشام، مُغني اللبيب عن كُتب الأعاريب، ص٤١/٥. وانظر مكيّ بن أبي طالب القيسي، مُشكل إعراب القرآن، ص٤٥٦.

(٣) انظر: الأشموني، منار الهدى في الوقف والابتداء، ص ٢٩٥/٢.

ومِمّا سَبَقَ نلحظُ أنَّ الكلامَ في الآيةِ الكريمةِ هذه مَبْنيٌّ على القولِ "سلامٌ"، الذي هو "مصدر"، وتقدير الكلام " سَلامٌ عليكم"؛ لأنَّه الأهمُّ في سِياق الآيةِ الكريمة، وفي ذلك إبرازٌ للدور الدّلاليّ الذي تقومُ به الجملةُ المُفَسِّرَةُ في كشفِ المعنى المُراد وتفسيره وترابط الكلام وتركيبه.

الخاتمة: نتائج البحث

١– مِنْ أظهر خصائص الجملة البيانيَّة في القرآن الكريم الاستغناء عن العاطف بين الجملة المُفَسَّرة والمُفَسِّرة، واستخدام الرَّبْط بين الجملة المُفَسَّرَة "السابقة" والجملة المُفَسِّرَة "اللاحقة" بالطرق الثلاثة الآتية: الأول– اللفظي المذكور، والثاني– المُقَدَّر المحذوف، والثالث– المعنويّ.

٢– مِنْ خصائص الجملة البيانيَّة في القرآن الكريم الاعتماد على الحَمْلِ على المعنى في التعبير عن المُراد أحياناً، فيأتي الكلامُ خبريًّا لفظًا إنشائيًّا معنًى، والعكس كذلك، قال تعالى ﴿يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ سورة الصف ٦١/١٠.

٣– مِنْ أغراض الجملة البيانيَّة في القرآن الكريم الإيضاح والتفسير وأمن اللَّبْس، والإقناع، والتشويق، وإبراز العناية والاهتمام بأمر ما.

٤– مِنْ صور "أنماط" المُفَسَّر "السابق" أن يأتي جملة مذكورة أو محذوفة، فعليَّة أو اسميَّة، إنشائيَّة أو خبريَّة.

٥– ومِنْ أنماط الجملة المُفَسِّرَة أن تأتي مقرونة بـ "أنْ"، أو غير مقرونة بـ "أنْ" التفسيريَّة، وقد تكون الجملة المُفَسِّرَة "البيانيَّة" فعليَّة أو اسميَّة، وخبريَّة أو إنشائيَّة، ومُثبتة أو منفيَّة.

٦– ومِنْ وسائل الرَّبْط المعنويّ في الجملة البيانيَّة في القرآن الكريم الانتقالُ مِن العامّ إلى الخاصّ، ومِنَ الإبهام إلى الإيضاح، ومِنَ الإجمال

إلى التفصيل، ومِنَ الخبريّ إلى الإنشائيّ والعكس كذلك، وهذا يسمّى الاستدعاء بين الأساليب، وذلك رابط معنويّ، فذكر الخبر يستدعي الإنشاء أحيانا، وفقًا للمقال والمقام، وذلك دليل ترابط قويّ بين الجملتينِ الأولى والثانية.

٧- مِنَ العلاقات الجامعة بين الجملة المُفَسَّرَة والجملة المُفَسِّرَة علاقة الاستدعاء، فالجملة السابقة تستدعي لبيانها وتوضيحها الجملة اللاحقة، بطريق المُثير والاستجابة.

٨- إذا حَدَثَ حذفٌ في الجملة الأولى المُفَسَّرَة، فدليله يكونُ مِن خلال الأصل الواقع في الجملة الثانية المُفَسِّرَة.

٩- اختلفَ علماء النَّحْو العرب القدماء حولَ المحلِّ الإعرابيّ للجملة "التفسيريَّة"، فمنهم مَنْ جعلها لا محلَّ لها مِنَ الإعراب كالعكبريّ، ومنهم جعلها بحسب ما قبلها كالشَّلوبين.

١٠- يقومُ السِّياق المقاميّ بدور مُهِمّ في تفسير الجملة البيانيَّة تركيبيًّا ودلاليًّا.

١١- يُؤتى بالجملة المُفَسِّرة عند الحاجة إلى الإيضاح والبيان، وذلك لوجود إبهام أو غموض، أو إجمال، أو عموم، وهذه الحالات تُعَدُّ جُزْءًا مِن المعنى؛ لأنَّها وسيلة تشويق وتمهيد وتهيئة للاهتمام والعناية بطرح شيء مُهِمّ للمُخاطَب، وشحذ الذِّهن لأجل استقبال رسالة مُهمَّة ذات مضمون خاصّ، يقصده المُتكلم. ومِنْ ثمَّ يمكن أنْ نعدّ الإبهام والعموم والإجمال قرينة دلاليَّة تؤدِّي إلى ما بعدها وترتبط به كالشيء الواحد.

١٢- الإبهامُ هنا نوعانِ، مُعجميّ مِن خلال معنى الكلمة، وتركيبيّ مِن خلال تركيب الجملة ومضمونها الدّلاليّ، فعلى الرغم مِن اكتمال عناصر الإسناد في الجملة إلا أنَّ المعنى قد يظلُّ غامضًا مُبهمًا يحتاجُ إلى إيضاح وكشف وتفسير، ليكونَ مُفيدًا فائدة يحسُنُ السُّكوتُ عليها.

١٣- يُؤدّي النَّبْرُ والتنغيمُ أحيانًا دورًا مُهمًّا في إيضاحِ الجملة البيانيَّة، حسب السياق الذي ترِدُ فيه.

١٤- للوقفِ دورٌ مُؤثِّرٌ أحيانًا في تَحَوُّل تركيب الجملة، ومِنْ ثمَّ تغيُّر دلالتها، قال تعالى (قالَ بل فعله كبيرهم هذا) الأنبياء ٦٣/٢١. إذ يقوم التنغيم بصوت عالٍ مقام أداة الاستفهام هنا، فلعلم الأصوات وظيفة نحويَّة، فبه تمَّ الاستغناء عن أداة الاستفهام.

١٥- مِن الوسائل الإجرائية في تحليل تركيب الجملة البيانيَّة الحذف والتقدير، والحَمْل على المعنى، وتناوب أدوات المعاني بعضها مكان بعض، والرتبة، والتحليل الصرفي للصِّيَغ، والتحليل الصَّوتيّ.

١٦- مِن سمات الجملة البيانيَّة تمام الأركان وتمام الإيضاح والبيان.

١٧- مِنْ مظاهر تغيُّر الدّلالة في الجملة البيانية الانتقال مِن تعميم الدّلالة "الجملة المُفَسَّرَة" إلى تخصيص الدّلالة "الجملة المُفَسِّرَة"، ومِن الإجمال إلى التفصيل، ومِن الإبهام إلى الإيضاح.

١٨- تربط كثيرًا الجملة البيانية بقضايا مُهمَّة في القرآن الكريم، كالآيات المرتبطة بالعقيدة والآيات المرتبطة بالأحكام الشرعيَّة، والآيات التي

فيها عِبَر وعِظَات، والآيات المُعَبِّرة عن السُّنن الكونيَّة.

١٩– مِن أغراض الجملة البيانيَّة تنشيط النفس والذِّهن، ليكونا مُهَيَّئينِ ومُتطلعينِ لاستقبالِ أمرٍ مُهِمّ مقصود.

٢٠– لِعِلْمِ المُخاطَب دورٌ مُهِمٌّ في تنوُّع الأساليب بين الخبر والإنشاء.

٢١– يمكنُ أنْ نعدَّ الجملةَ المُفَسَّرَة والمُفَسِّرَة جملةً واحدةً تركيبًا ومعنًى، ونسمّيها "الجملة البيانية".

٢٢– ومِمّا لفتَ نظري في هذا البحث "الجملة البَيانيَّة في القرآن الكريم، دراسةً في التراكيب والدّلالة"، أنَّ الإبهام والغموض والإجمال والتعمية والعموم في الجملة أو "الكلمة" المُفَسَّرة يمكن أنْ نَعُدَّهُ جُزءًا أساسيًّا مِن المعنى؛ لأنَّه مقصود في البنية التركيبيَّة والدّلاليَّة للجملة، وذاك القصدُ لغرضٍ دلاليّ يقومُ على وسائلَ إجرائيَّةٍ، كما أنَّ الجملة البيانيَّة "المُفَسِّرة" تقوم بوظيفة الإيضاح والتخصيص والتحديد والتقييد وإزالة الإبهام... فذاك أيضًا جزءٌ مُتمّمٌ للمعنى المقصود؛ فكلتا الجملتينِ "المُفَسَّرة" أو السابقة و"المُفَسِّرَة" أو اللاحقة، تصلانِ بنا إلى غرضٍ مُهِمٍّ وغايةٍ ضروريَّةٍ وأساسيَّة في استعمال اللغة، ألا وهي الإفهام والفَهْم والتواصل بطريقة صحيحة واضحة مِن خلال تَحَقُّق المعنى المقصود.

٢٣– ومِن الجديرِ بالذِّكْر أيضًا هنا الإشارة إلى الجانب الجماليّ للجملة البيانيَّة، مِن خلالِ التشويق، والإثارة، وجذبِ الانتباه، ومُتعة التفكير والتأمُّل والتدبُّر، وتهيئة المُخاطَب، وقوّة التأثير، وغير ذلك مِن عناصر الجمال اللغويّ التصويريّ لهذا النمط المهمّ مِن الجملة العربيَّة في

الأداء اللغويّ، ليتحقَّقَ الإقناعُ والإمتاعُ معًا.

قائمة بالمصادر والمراجع

١) إبراهيم بن سعيد الدوسري، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، دار الحضارة للنشر، الرياض ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ م

٢) الأزهريّ، الشيخ خالد بن عبد الله، شرح قواعد الإعراب، المُسَمّى مُوَصِّل الطلاب إلى قواعد الإعراب، تحقيق خالد إسماعيل حسّان، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٣م.

٣) الأستراباذيّ، رضي الدين، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٣١٠هـ.

٤) الأشموني، منار الهدى في الوقف والابتداء، القاهرة، ١٩٤٣م.

٥) الأشموني، منار الهدى في الوقف والابتداء، تحقيق عبدالرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٦) الأنباريّ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق جودة مبروك، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٧) الأندلسيّ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط، مطبعة السعادة، القاهرة، بدون تاريخ.

٨) الأندلسيّ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط، مكتبة الإيمان، بريدة، السعوديَّة، ١٩٩٢م.

٩) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغويَّة، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٠) البخاريّ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاريّ بشرح الكرمانيّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨١م.

١١) البغداديّ، عبد القادر بن عمر، خِزانة الأدب ولبّ لُباب لسان للعرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٢) الجرجانيّ، علي بن مُحَمَّد بن الشريف، كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبياريّ، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٣هـ.

١٣) ابن جِنّي، أبو الفتح عثمان:

–الخصائص، تحقيق مُحَمَّد علي النّجار، ط٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٢م.

–الخصائص، تحقيق مُحَمَّد علي النّجار، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٢م.

–المُحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، ط٣، دار سزكين، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٤) ابن الحاجب، شرح المُفَصَّل في صَنْعة الإعراب، تحقيق موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالجمهورية العراقية، ١٩٨٨٢م.

١٥) حسّان، خالد إسماعيل، في القراءات القرآنيَّة دراسات في البنية والدّلالة، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٦م.

١٦) حسّان، تمّام:

–البيان في روائع القرآن، ط٢، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
–اللغة العربية معناها ومبناها، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٧) الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات، ط١، دار سعد الدين، دمشق، ٢٠٠٠م.
١٨) الخفاجيّ، أحمد بن مُحَمَّد شِهاب الدين، حاشية الشَّهاب على تفسير البيضاويّ، المُسَمَّى عناية القاضي وكفاية الراضي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٧م.
١٩) الخوارزمي، شرح المُفَصَّل الموسوم بالتخمير، تحقيق عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٠م.
٢٠) الداني، أبو عمرو، المكتفى، تحقيق يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة ط٢، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م
٢١) الدُّمياطيّ، البنّا، إتحاف فُضَلاء البَشَر بالقراءات الأربعة عشر، صَحَّحَه وعَلَّق عليه علي مُحَمَّد الضّبّاع، القاهرة، بدون تاريخ.
٢٢) الزّجّاج، أبو إسحاق إبراهيم السَّريّ، معاني القرآن، تحقيق عبد الجليل شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.
٢٣) الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر:
–الكشاف، رَتَّبَه وصَحَّحَه وضَبَطَه عبد السَّلام شاهين، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٥م.
–المُفَصَّل في صَنْعَة الإعراب، تحقيق خالد إسماعيل حسّان، ط٣، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٤م.

٢٤) أبو السُّعود، تفسير أبي السُّعود، ط٢، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٠م.

٢٥) السَّمين الحلبيّ، أحمد بن يوسف، الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد مُحَمَّد الخَرّاط؛ ط٣، دار القلم، دمشق، ٢٠١١م.

٢٦) السُّهَيْليّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، نتائج الفكر في النحو، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي مُحمَّد معوض، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٢م.

٢٧) سيبويه، أبو بشر عمرو بن قَنْبَر، الكتاب، تحقيق عبد السَّلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م.

٢٨) السِّيُوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد السَّلام هارون، وعبد العال سالم مكرم، ط١، دار البحوث العلميَّة، دولة الكويت، ١٩٧٥م.

٢٩) ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسيَّة للنشر، ١٩٨٤م.

٣٠) عبادة، مُحَمَّد إبراهيم، الجملة العربيَّة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٣١) عبد الباقي، محمَّد فؤاد، المُعجم المُفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٢) عبد التواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة، ط ٢، مكتبة

الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

٣٣) عبد اللطيف، مُحَمَّد حماسة:

–بناء الجملة العربيَّة، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

–العلامة الإعرابيَّة في الجملة بين القديم والحديث، دار غريب، ٢٠٠١م.

٣٤) ابن عَقِيل، عبد الله بهاء الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣٥) العُكبريّ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي مُحَمَّد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٧٦م.

٣٦) عُمر، أحمد مختار، علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣٧) الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق عبد الفتاح شلبي، وعلي النجدي ناصف، دار السرور، بيروت، بدون تاريخ.

٣٨) القزوينيّ، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٣م.

٣٩) القيسيّ، أبو مُحَمَّد مكيّ بن أبي طالب، مُشكل إعراب القرآن، تحقيق مُحَمَّد عثمان، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٤٠) الكفويّ، أبو البقاء مُحَمَّد، الكُليات، تحقيق عدنان درويش، ومُحَمَّد المصريّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.

٤١) المبُرّد، أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد، المقتضب، تحقيق مُحَمَّد عبد الخالق عُضيمة، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلاميَّة، القاهرة، ١٩٩٤م.

٤٢) محيسن، محمد سالم، الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربيَّة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م.

٤٣) مسلم، صحيح الإمام مسلم، ط ١، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٤٤) مصلوح، سعد:

ـ دراسة السَّمع والكلام، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

ـ في اللسانيات والنقد أوراق بينيَّة، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٧م.

ـ في تاريخ العربيَّة، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٧م.

٤٥) أبو موسى، مُحَمَّد، دلالات التراكيب دراسة بلاغيَّة، ط٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٤٦) النحّاس، أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٨م.

٤٧) النَّسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق يوسف علي بديوي، ومحيي الدين ديب، ط ١، دار الكلم الطيب، ١٩٩٨م.

٤٨) ابن هشام، عبد الله جمال الدين يوسف، مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق عبد اللطيف الخطيب، ط١، نشر المجلس الوطني

للثقافة، دولة الكويت، ٢٠٠٢م.

٤٩) ابن يعيش، مُوَفَّق الدِّين عليّ، شرح المُفَصَّل في صنعة الإعراب، مكتبة المُتنبي، القاهرة، بدون تاريخ.

فِهرس الموضوعات

مُقَدِّمَة ..... – ١٣ –

مِهاد..... – ١٩ –

المبحث الأول: الجملة البَيانيَّة "المُفَسِّرَة" المَقْرُونة بـ "أنْ" التفسيريَّة. – ٢٩ –

المبحث الثاني: الجملة البيانيَّة "المُفَسِّرَة" للمُفرد "الكلمة" ..... – ٤٦ –

المبحث الثالث: الجُملة البيانيَّة "المُفَسِّرَة" لجملة قبلها ..... – ٦٥ –

الخاتمة: نتائج البحث..... – ٩٣ –

قائمة بالمصادر والمراجع..... – ٩٨ –

فِهرس الموضوعات.....– ١٠٥ –